تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

تنديدات حقوقية لإعدام نظامي زعيم المعارضة الإسلامية ببنغلادش

ص 15

علم أصول الفقه وسؤال المنهج: موضوع لقاء تكويني بكلية الشريعة بفاس

ص 08

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج ■■ 09 شعبان 1437هـ– 17 ماي 2016م ■■ العدد : 458

افتتاحية

ذكرى الإسراء والمعراج وحتمية ارتباط الأرض بالسماء

حَدَثُ الإسراء والمعراج مِنْحة ربانية كبيرة لنبيه ﷺ، تجلت أولا في الرحلة الأرضية، وهي وإن كانت أرضية، فإنها ليست كباقي الرحلات؛ زَمناً ومركوبا ومسافة. ثم بعد ذلك في الرحلة السماوية حين عُرِجَ به عليه السلام إلى السماوات العلا، ولذلك فإن الحدثَ حدثٌ غيبي بامتياز، والإيمان بحدوثه لا يتم ولا يكون إلا بالإيمان بالغيب والتسليم بقدرة الله سبحانه وتعالى الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

وذكرى هذا الحدث التي مرت منذ أيام، تستوجب على المسلم استحضارها من جميع جوانبها، وخاصة من حيث هذين البعدين: الأرضي والسماوي.

فمن حيث البعد الأرضي يدل الحدث، من بين ما يدل، على ما يلي:

● أن أمر هذه الأمة يبدأ من المسجد ويؤول إليه، ولذلك نصَّت آية الإسراء على أن الإسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهذا التنصيص على المسجد بدل ذِكْر المكان بصورة عامة، يدل بشكل واضح على المكانة المتميزة للمسجدين المذكورين -بالإضافة إلى المسجد النبوي-، فبهذه المساجد الثلاثة أولا، التي لا تشد الرحال إلا إليها، ثم بعموم المساجد الأخرى ثانيا، تكون هذه الأُمَّةُ أُمّةً حقّا.

● أن المَدَدَ الرباني قد يأتي من حيث لا ينتظره العبد ولا يتصوره ولا يترقبه؛ فبعد أن بَدَا -بالمنطق المادي- وكأن الآفاق قد سُدت أمام مسيرة الرسالة النبوية، نتيجة لما حدث للرسول ﷺ في الطائف وغير الطائف، جاءت المِنحة الربانية لتبين أن أمر الرسالة غير محصور بين مكة والطائف، ولكنه أمر عالمي يرتاد كل الآفاق، شرقها وغربها، أرضها وسمائها. ولذلك فإن أمر الأُمّة حاليا، وما تعانيه من تشتت وتفرق واقتتال، وما تعيش فيه من ذُل وانكسار، وإحن ومِحن، لا يمكن أن تنجو منه إلا بمنَح ومِنَن ربانية عالية. لكن بشرط التوجه إليه ﷻ، قولا وفعلا، كما تَوجَّه إليه المصطفى ﷺ، خاصة بعد حَدَث الطائف في دعائه المشهور، ثم بعد الأخذ بالأسباب كاملة كما أخذ بها رسول الله ﷺ وهو يدعو قومه.

وأما البعد السماوي فيبدو في عدة جوانب أخرى، منها:

● أن مصدر رسالات الأنبياء عليهم السلام تنطلق من مصدر واحد هو مصدر الوحي، ومن ثم فإن رسالة الإسلام واحدة، وإن رسالته ﷺ خاتمة الرسالات، وهذا ما يستفاد من ترحيب الأنبياء بصاحب الذكرى، كما أن إمامته ﷺ بالأنبياء في المسجد الأقصى تدل على ذلك بوضوح.

● أن أمر الأرض وما فيها وما عليها لا يمكن أن يسير حق السير، ولا يمكن أن يستقيم حق الاستقامة، إلا باستنارة مَنْ في الأرض بما جاء من السماء. وإن فرض الصلاة في المعراج لأكبر دليل على ذلك، فهي الصلة بين العبد وربه، وهي أول ما يحاسب العبد عليه، وبالصلاة يُعرَف المسلمون بأنهم أهل القِبلة، ولا يمكن أن يكونوا كذلك إلا إذا ارتبطت أفئدتهم بالسماء ارتباط اتجاههم الحسي نحو القبلة، استجابةً وإنابةً، طاعةً واهتداءً.

وقفات مع الآيات الأولى من سورة المزمل

ص 02

أسلوب التدرج في الخطاب والتأدب من خلال قصة إبراهيم عليه السلام

ص 04

ومضات من الهدي النبوي في شهر شعبان

ص 03

تقرير الحالة الدينية في المغرب (2013/2015) يرصد: واقع الحالة الدينية بالمغرب وتحدياتها

ص 09

مكانة العلم وعواقب الغش في الامتحانات

ص 05

من ضوابط التعامل مع أقوال العلماء وأفعالهم في المنهجية الإسلامية

ص 07

وقفات مع الآيات الأولى من سورة المزمل

ذ. ميلود خطاب

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئا وَأَقْوَمُ قِيلا إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ (المزمل: 1 – 10)

إن سورة المزمل مكية في قول الجمهور كما حكاه ابن عطية على خلاف في شطرها الثاني، لذلك تجدها على وزان القرآن المكي تركز على النفس الإنسانية، وتروم إعادة بنائها بناء سليما عقديا ووجدانيا، فتجدها توجه المؤمنين وهم على أبواب المشقات العظام إلى محطات الطاقة الإنسانية الروحانية، وترسم للأرواح السبل إلى معارجها، مما لا يكون للدعوة إلى الله كيان إلا به، في بدايات أمرها أو في نهاياته، فكان أهل "المزمل" ودعوتها على مدار التاريخ هم أهل الدعوة، وأهل الليل، وأهل التزكية، ومن لم يكابد "المزمل" لم يتميز.

يقول ربنا سبحانه وتعالى في مطلعها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئا وَأَقْوَمُ قِيلا إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾.

المعنى العام للآيات:

فهذه الآيات الأول كما يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: تبدأ بالنداء العلوي الكريم بالتكليف العظيم، وتصور الإعداد له، والتهيئة بقيام الليل، والصلاة، وترتيل القرآن، والذكر الخاشع المتبتل. والاتكال على الله وحده، والصبر على الأذى، والهجر الجميل للمكذبين، والتخلية بينهم وبين الجبار القهار صاحب الدعوة وصاحب المعركة !.. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ المزمل: المتغطي بثيابه كالمدثر، وهذا الوصف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته، وابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل إليه، فرأى أمرا لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: "زملوني زملوني" وهو خائف وَجِل، ثم جاءه جبريل عليه السلام فقال: ﴿اقرأ﴾ فقال: «مَا أنا بقارئ» فغطه حتى بلغ منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ ﷺ، ثم ألقى الله عليه الثبات، وتابع عليه الوحي، حتى بلغ مبلغا ما بلغه أحد من المرسلين.

فأمره بالقيام؛ ومن رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا﴾؛ ثم قدر ذلك فقال: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ﴾، أي: من النصف ﴿قَلِيلا﴾ بأن يكون الثلث ونحوه. ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: على النصف، فيكون الثلثين ونحوها. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾، فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وبه تحرك القلوب، ولذلك كان الأمر بالتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، فإنه قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾، أي: نوحي إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له، ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه.

ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: الصلاة فيه بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا﴾؛ أي: أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن، يتواطأ على القرآن القلب واللسان، وتقل الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود، ولهذا قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا﴾؛ أي: ترددا على حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبآكد الأوقات وأفضلها، وهو قيام الليل.

ثم قال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ شامل لأنواع الذكر كلها، ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا﴾؛ أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب كلها، فهو تعالى رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومدبره. ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، وهو وحده الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا﴾، أي: حافظا ومدبرا لأمورك كلها.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ فلما أمره الله بالصلاة خصوصا، وبالذكر عموما، مما يقويه على تحمل الأثقال، وفعل الثقيل من الأعمال، أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ولما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، وأن يهجرهم هجرا جميلا؛ حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدالهم بالتي هي أحسن.

وهذا هو المنهج السديد الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية أول الأمر، ويجب أن تقوم عليه اليوم وغدا، وهو أن تتزود الأمة من ليلها لنهارها، صلاة وقياما وترتيلا، وأن تتكيف مع الظروف وتصبر على ما تلاقيه في طريقها.

إشراقات لبعض أهل "المزمل":

– ﴿قم الليل﴾: قيل للحسن البصري: ما بال المُتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.

– إن الذي لا تلتهب مواجيده بأشواق التهجد لا يكون من أهل سورة المزمل حقاً.

● د. فريد الأنصاري.

– ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قم﴾ أول درس يتعلمه حملة الدين.. هو وجوب الانتقال من وضع الاسترخاء.. إلى حالة التأهب والجاهزية.

● علي الفيفي.

– ﴿قم الليل﴾ الليل هو الوقت الأنسب لشحن نفسك بمعاني الإيمان حيث تقل المشتتات، وتذبل الملهيات، ويتيقظ شيء في النفس ينظر إلى السماء. علي الفيفي.

– ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ لم؟ ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ ما استعين على تبليغ الدين بمثل قيامٍ في الليل وإن قلّ. عمر المقبل.

مستفادات من تلكم الآيات:

1 – سورة المزمل سورة بناء روح الداعية إلى الله، توحيد وإخلاص وذكر وقيام وتبتل وصبر على الأذى ودعوة.

2 – ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أسلوب قرآني.. إذا نودي المنادَى بوصف هيئته؛ فالمقصود غالبا التلطف به والتحبب إليه ولهيئته.

3 – ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا﴾ القيام يسكب في القلب أنساً قد لا يجده في صلاة النهار، والله الذي خلق هذ القلب يعلم مداخله، وأي الأوقات يكون أكثر تفتحا واستعداداً.

4 – من الأمور التي تساعد على الدعوة؛ قيام الليل والقران، لذلك أمر الله نبيه ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا﴾... ﴿ورتل القران﴾..

5 – قيام الليل عبادة عظمى ترفع الإنسان لأعلى عليين؛ لأنها عبادة خفية بين العبد وربه، وبها تظهر حقيقة التوحيد..

6 – قيام الليل بعد النوم أدعى لتدبر القرآن والانتفاع به؛ لذلك قال: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾.

7 – ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾ الاعتناء بجودة التلاوة وتحسين الأداء من الأوامر الإلهية والسنن النبوية، و"بالترتيل" يحصل التدبُّر والتفكّر في الآيات.

8 – ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾ وصف القرآن بالقول الثقيل ليتمهل القارئ في قراءته ويتعمق في طلب معانيه، وليعظم كل شيء فيه ويتجنب الاستهانة به.

9 – وصف القرآن بالثقل ليناسب حاجة الإعداد لأعباء معركة منتظرة مع ضمائر غارقة في الجهل.

10 – ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا﴾. أفضل أوقات العبادة التي يكون فيها القلب والذهن فارغا، ولذلك كانت صلاة الليل أفضل؛ وقيام الليل يترك أثرا جميلا في القلب؛ لأنه يكون خلوة بين العبد وربه، وبعيدا عن الرياء.

11 – صلاة الليل أعونُ على تذكّر القرآن، والسلامة من النسيان، ولذا قال سبحانهُ: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطئا و أقوم قيلا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قم﴾ أول درس يتعلمه حملة الدين.. هو وجوب الانتقال من وضع الاسترخاء.. إلى حالة التأهب والجاهزية.

12 – ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ ينبغي للمؤمن أن يتفرغ في الليل لعبادة ربه، وله في النهار وقت كاف لقضاء حاجاته ومصالحه.

13 – الداعية إلى الله إنسان نشيط لا يعرف التكاسل فهو قائم بالليل مصليا، وقائم في النهار بالدعوة إلى الله ﷻ.

14 – ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا﴾ دلّ على أن الذكر ليس باللسان فقط؛ بل هو حضور القلب؛ لأن التبتل الانقطاع الكلي عما عدا الله تعالى.

15 – ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا﴾ من كان يعلم بأن الكون كله بيد الله هل يبحث عن ضعيف وينزل به حاجته؟!!

16 – ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ الرسول أوذي وهو خير البشرية، فكيف أنت يا من تدعو؟ عليك أن تصبر وتجاهد من غير سخط ولا جزع.

17 – ﴿واصبر على ما يقولون﴾ بيان لأصول التعامل مع الناس إما الصبر على الأذى أو الهجر الجميل؛ وهو هجر مجادلتهم.

18 – الصبر على أذى الناس أعلى مقاما من هجرهم؛ ولذلك قدمها جل وعلا: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾.

19 – الأذى الذي يلقاه الداعية في طريقه لن يلطفه ويهونه شيء مثل مناجاة الرب بالقرآن في جوف الليل.

20 – أعظم زاد للداعية على طول طريق الدعوة ومشقتها؛ هو الصلاة وخصوصا في جوف الليل.

مسلك التخلق:

في تأملات للدكتور عبد الرحمن الشهري يقول: إن "المزمل" فيها تقسيم بديع لما ينبغي أن يسير عليه النبي ﷺ في قضاء وقته اليومي حتى يتمكن من القيام بأعباء هذه الرسالة الثقيلة، وقد رتب الله ﷻ فيها المهمات اليومية التي لا ينبغي أن يخلو منها الجدول اليومي للمسلم:

– قيام الليل بالقدر المقدور..

– ترتيل القرآن وليس مجرد القراءة. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾... مع ارتباط ذلك بالليل.. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا﴾.

– العمل الجاد بالنهار لأنه وقته... ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا﴾.

– الإكثار من ذكر الله كل وقت... ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلا﴾.

– التخلق بالصبر في الأمور كلها... ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾.

ألهب الله مواجيدنا وإياكم بأشواق التهجد، وجعلنا من أهل المزمل وكنوزها، والله من وراء القصد.

تفسير ابن عطية، تفسير السعدي، والظلال لسيد قطب، وتأملات للدكتور فريد الأنصاري، د. عبد الرحمن الشهري، علي الفيفي، وعمر المقبل...

ومضات من الهدي النبوي في شهر شعبان

ذ. محمد البخاري

عن أن المؤمنين عائشة فالت: "كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان" متفق عليه.

إن المتأمل في هذا الحديث النبوي الشريف، يدرك المنهج النبوي القويم في ترسيخ مبدأ الوسطية والاعتدال في الدين، ويلمس من خلاله كيفية استعداد النبي ﷺ للعبادة في الأوقات التي يغفل فيها الناس عن الله ﷻ، ليحث أمته على ضرورة اغتنام الفرص في كل وقت وحين للتقرب من الله تعالى، فكيف نستفيد إذا من شهر شعبان في تجديد الصلة بالله تعالى، والاستعداد لحسن استقبال رمضان؟

أولا: التوسط والاعتدال في صوم شهر شعبان:

قال ابن حجر مجملا معنى الحديث "المعنى كان يصوم في شعبان وغيره، وكان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه"(1) بيد أن هذا المعنى يثير إشكالا بالنظر إلى حديث آخر عن أم سلمة قالت: "أنه لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصله برمضان" (سنن أبي داود). وقال الترمذي: هذا إسناد صحيح (2) واختلفت عبارات العلماء للجمع بين الحديثين أهمها:

– قيل المراد؛ أنه كان يصوم معظم شعبان، وعبر بالوصل لإفادة المبالغة فقط، ونقل الترمذي عن ابن المبارك أنه جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول صام الشهر كله، وهو لم يصمه كاملا من أوله إلى أخره، بل صام معظمه (3). ويظهر أن الرواية الأولى مفسرة للثانية مخصصة لها، وأن المراد بالكل الأكثر (4).

– وقيل؛ يحمل على أنه كان يصوم شعبان كله تارة، ويصوم معظمه أخرى، لئلا يتوهم أنه واجب كله كرمضان (5). وقال ابن حجر والأول هو الصواب (6).

وهناك اتجاه أخر يرى أن الصوم في شعبان يكون في النصف الأول منه فقط، ويمنع في النصف الثاني استنادا لما روي عن النبي ﷺ قال: «إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا» (سنن الترمذي)، قال فيه حديث حسن صحيح.

وقد أخذ بهذا الحديث الشافعية فلم يجيزوا الصوم بعد النصف من شعبان على أصح الأقوال عندهم (7). وخالفهم الجمهور فأجازوا الصوم بعد النصف من شعبان تطوعا (8)، عملا بحديث الانطلاق، وقوله، في حديث آخر: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا رجلاً كان يصوم صوماً فليصمه» متفق عليه واللفظ لمسلم.

وعليه؛ فالصيام في شهر شعبان ثابت بالسنة، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة لا يتسع المقام لسردها وتتبع أقوال العلماء فيها، لكن الذي ينبغي أن يأخذ به المسلم في هذا المقام هو التوسط؛ بحيث يكثر من الصوم في هذا الشهر تأسيا بالرسول ﷺ دون وصله برمضان لاختلاف العلماء في ذلك، ولكونه شاقا على المكلف، وقواعد الشريعة دالة على رفع الحرج على العبد، وداعية إلى التيسير لقوله ﷺ: «خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل» (صحيح البخاري). كما أن وصل صيام شعبان برمضان قد يؤثر على إتقان العبادة في رمضان وهو الركن الذي يضاعف فيه الأجر، ولا شك أن التطوع مطلوب بقدر لا يؤثر على الفرض؛ لأن الواصل إذا تعب فقد يخل بالقيام والذكر في رمضان، وكل ذلك مطلوب بالأولوية عن صيام كل شعبان، فالأحسن والله أعلم أن يجتهد المسلم في صيام أكثر الأيام من شهر شعبان، ويهيئ نفسه لإتقان العبادة في رمضان.

ثانيا: بعض الأبعاد التربوية المستفادة من صيام شعبان:

تمكن الأبعاد التربوية التي قصدها الرسول ﷺ من صوم شعبان أكثر من غيره فيما يلي:

1 - محاربة الغفلة عن طاعة الله تعالى، ورجاء قبول الأعمال:

لعل من أهم المقاصد التربوية المراد تحقيقها من خلال دعوته ﷺ إلى الإكثار من الصوم في الشعبان؛ هو ما أشار إليه حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذاك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (سنن النسائي).

فالمقصود إذا؛ محاربة الغفلة عن طاعة الله في شهر شعبان، قال ابن رجب في بيان هذا البعد التربوي: "وفيه معانٍ... منها أنه لما اكتنفه شهران عظيمان: الشهرٌ الحرام وشهرٌ الصيام، اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولاً عنه.."(9).

ولا شك أن الغفلة تحصل بكثرة الذنوب، ويُتَغلَّب عليها بالنوافل، قال المحاسبي: "اعلم أنَّ الذنوب تورث الغفلة، والغفلة تورث القسوة، والقسوة تورث البعد من الله، والبعد من الله يورث النار، وإنَّما يتفكر في هذا الأحياء، وأما الأموات فقد أماتوا أنفسهم بحب الدنيا"(10).

فالكثير من المسلمين يغفلون عن صيام أي يوم من شعبان ويهتمون بيوم النصف منه فقط، ويحدثون فيه بدعا لم يأت بها شرع، ولم يثبت فيها نص، فيحتفلون في هذه الليلة وفق طقوس لا أصل لها، مع العلم أن المطلوب هو الاجتهاد في شعبان كله بالصوم، والذكر، والدعاء، والصلاة، وليس يوم النصف فقط، ويتشبث أصحاب هذا الطريق بكون نصف شعبان ينزل الله في ليلته إلى سماء الدنيا، وينسون أن الله ينزل كل ليلة في الثلث الآخر من الليل كما قال الرسول ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له» (متفق عليه).

صحيح أن نصوصا وردت في غفران الله عن عباده في ليلة النصف من شعبان، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن» (سنن ابن ماجه). لكن هذا لا يبرر إهمال التقرب إلى الله سائر شهر شعبان؛ ولا يدل على مشروعية الاحتفال في هذه الليلة بطقوس مخالفة للهدي النبوي؛ لأن المقصد من هذا كله حث المسلم على اغتنام فرص الطاعة لله في الأوقات التي يغفل فيها الناس عنه، لعل الله يقبل من العابد المستغفر عمله ويظفر بالأجر العظيم.

2 - حسن الاستعداد الروحي والبدني لاستقبال رمضان:

إن الصيام في شهر شعبان يساعد المسلم على حسن استقبال رمضان على مستويين على الأقل:

روحي؛ عن طريق تربية نفسه على الطاعة والاجتهاد في العمل الصالح، وتطهيرها من الذنوب التي وقعت فيها طوال أيام السنة، فيستقبل رمضان بروح طاهرة نقية تسعى لنيل الأجر الذي يتضاعف للصائم القائم المحتسب، ولعل هذا المعنى التربوي مقصود عند الرسول ﷺ حيث قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط» (صحيح مسلم). فانتظار الطاعة، والتهيؤ الروحي لها مرغوب فيه، بل هو الرباط ذاته؛ لأن النفس قد تعتاد الكسل طوال السنة، فتحتاج إلى إحيائها وتجديد إيمانها، وذلك يتطلب منها التمرن والتدرب على العبادة في شهر شعبان، فإذا دخل رمضان يكون المسلم قد تذوق حلاوة العبادة، فيكون أكثر إقبالا عليها واتقانا لأدائها.

فصيام شعبان بمثابة الجرس الذي ينبه المسلم بقدوم شهر الرحمة والغفران، فيجب أن يعيد النظر فيما مضى من الشهور، وما قدمه فيها من الأعمال، حتى لا يدخل رمضان وهو على حاله من الذنوب والمعاصي، فشعبان يخبر المفرط بأنه فرصته الأخيرة قبل رمضان لتحسين علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع كل المحيطين به، قال ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله» (مسند أحمد).

وبدني؛ عن طريق تهيئ الجسد في شعبان بالصوم، وإبعاده عن عاداته في تناول الطعام الذي ألفه طوال السنة، فيكون بدنه أكثر استعدادا في رمضان فيحسن صيامه. قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء..» (صحيح مسلم). فلا ينال منه الجوع، ولا العطش، ولا النوم؛ لأنه قد ألف الصوم أثناء شعبان، ولو أخذ المسلمون بهذه السنة لتغلبوا على الكثير من المشاكل التي يشكون منها في شهر رمضان، كقلة النوم، وكثرة العطش والتعب، وشدة الحر، بل الكثير منهم لا يقوم الليل في رمضان بدعوى العمل في النهار، ولا يؤدي عمله الوظيفي على أحسن وجه بدعوى الصيام، وهو دائما يقصر في عمله الدنيوي ويتعلل بالصيام، ويقصر في قيامه وذكره لله في ليالي رمضان ويتعلل بالعمل المتعب في النهار، فلا يحسن القيام بأي شيء منهما.

---

1 – فتح الباري، دار المعرفة، ج4، ص: 214.
2 – الشمائل المحمدية، دار إحياء التراث العربي، ص: 176.
3 – عمدة القاري، لبدر الدين العيني دار إحياء التراث العربي، ج11، ص: 83.
4 – فتح الباري، ج4، ص: 214.
5 – شرح مشكاة المصابيح، للطيبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج5، ص: 1604.
6 – فتح الباري، ج4، ص: 214.
7 – المجموع، للنووي، دار الفكر، ج6، ص: 399.
8 – فتح الباري، ج4، ص: 12.
9 – لطائف المعارف، دار ابن حزم، ص: 131.
10 – رسالة المسترشدين، المطبوعات الإسلامية، ص: 155.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....
الاشتراك السنوي : 20 عددا
■ داخل المغرب : 60 درهم
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها
ترسل الاشتراكات باسم :
● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)
رقم : 2111113412900014
أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :
جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،
فاس – المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الاكتروني: www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني: almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف: 0535931113
الناسوخ: 0535944454
الإيداع القانوني: 1994-61
رقم الصحافة: 91/11
الترقيم الدولي: 1113-3627
الطبع: إكوبرانت
التوزيع: سابريس

أسلوب التدرج في الخطاب والتأدب فيه
نماذج من مواقف خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام
1 - مخاطبته لأبيه

قال الله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً. قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾ (مريم: 41 - 48).

ما كان ليقابل الفظاظة بمثلها، مع أنه يعلم أنه على الحق وعلى هدى من الله، ولكنه منهج الدعوة إلى الله تعالى، ومنهج التعامل مع الوالدين، حتى ولو كانا كافرين، ليقرر الاعتزال وليس الهجران، آملا أن يكون استغفاره لأبيه - بروراً به وإحساناً إليه - سبباً في أن يهديه الله إلى التوحيد فيغفر له ما سبق، إذ لم يكن إبراهيم في هذا الوقت قد تلقى نهياً من الله تعالى عن الاستغفار لأبيه

إن إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات يخاطب أباه، ولذلك فإن منطق الخطاب للأب يقتضي الاحترام والتقدير، فلقد كان عليه السلام لأبيه هذا مقدراً، وبه بارّا، وله مستغفراً قبل أن يُنهى عن ذلك، ومن ثَمّ فإن مخاطبته له في هذه الآيات يترجم هذا التقدير، حيث إنه لما أراد أن ينصحه ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، رتب الكلام وتدرج فيه من مقام إلى مقام، مستعملا في ذلك كله المجاملة واللطف والأدب الحميد والخلق الحسن، مسترشدا في ذلك بنصيحة ربه، في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وخطاب الوالدين بالكلام اللين البعيد عن كل قسوة وفظاظة حتى ولو كانا على غير الإسلام. ولذلك جاء خطابه لأبيه في الآيات السابقة متدرجا في أربع مقامات خطابية هي على التوالي:

مقامات خطابية أربع:

1 - **تنبيه أبيه على أن معبوده لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا**، ولو أن هذا المعبود كان حيّا سميعا بصيراً قادرا على الثواب والعقاب، إلا أنه بعض الخلق، فإن عابدَه يُستخفّ به ويُستصْغر من عقله، حتى ولو كان هذا المخلوق المعبود متميزا في الجاه والمال على باقي العباد، فكيف والمعبود جماد لا يسمع ولا يبصر. ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام بهذا المقام في الخطاب، أراد أن ينبه أباه من تماديه، ويوقظه من غفلته بدعوته إلى استعمال بسيط لعقله في الموضوع وتدبره فيه.

2 - **الترفق به في دعوته إلى طريق الحق**، فلم يقل له إنك جاهل، أو إنك ضال، مع أنه في دعائه لله تعالى قال: ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ (الشعراء: 86).. ولكنه هنا في مقام محاورة، لذلك لم ينعت أباه بالجهل المطلق من خلال خطاب مباشر، كما أنه لم يدَّع العلمَ الفائقَ ولم يَتَسَمَّ به، ولكنه قال له: معي بعض العلم وشيء منه يدلني على سلوك الطريق القويم، فهب أني وإياك في مسير، وعندي معرفة بهداية الطريق دونك، أفلا تتبعني حتى أنجيك من الضلال والتيه ؟.

3 - **تنبيهه إلى أن عبادته للأصنام هي عبادة للشيطان**، ومحاولة تثبيطه عن هذه العبادة بتذكيره أن الشيطان عدو لله عاص له، وأنه في هذا العصيان غير مفلح، وأن اتّباعه لا يؤدي إلا إلى الخسران.

ومن الطريف أن يلحظ المتأمل للسياق أن إبراهيم عليه السلام لم يذكر في نصيحته لأبيه عداء الشيطان لآدم وذريته، واقتصر على ذكر عدائه لله، لأن المقام دعوة إلى التوحيد، وليس دعوة إلى تجنب أفعال معينة خارج إطار الشرك بالله.

4 - **تخويفه بسوء العاقبة**، ويلاحظ أنه أسند فعل الخوف إلى نفسه (أخاف) مما يعني حَدَبَهُ على أبيه وإشفاقه عليه. ومن ثم لم يصرح بأن العذاب لاحق به ولكنه قال: إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فنكر العذاب ملاطفة لأبيه.

لطيفتان:

ويخدم هذه المقامات الأربعة لطيفتان أسلوبيتان أخريان:

● **اللطيفة الأولى:** أنه اختار من أسماء الله تعالى وصفاته (الرحمن) وهو الاسم الجامع الشامل لكل أنواع الرحمة. فذِكْر الرحمن مقترنا مع عصيان الشيطان يفيد أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأنه ينتظر من عبده الضال أن يعود إلى رشده، وذِكْرُ الرحمن مقرونا بالعذاب - مع أن العذاب والعقاب لا يناسبان الرحمة - فيه إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام بقدر ما كان يريد تقريب أبيه من عبادة الله وتحبيب الخالق تعالى إليه بذكر أقرب أسمائه إلى الرحمة الشاملة للعباد (الرحمن)، كان في الوقت ذاته يطمع في رحمة الله ومغفرته لأبيه. ولذلك فإن ذكر اسم الرحمن في هذه الآية بالذات فيه إشارة إلى استغفار إبراهيم لأبيه الوارد ذكره في آية أخرى.

● **اللطيفة الثانية:** أن إبراهيم عليه السلام صدّر كل نصيحة من هذه النصائح التي تضمنتها المقامات الأربعة السابقة بقوله (يا أبت) وفيها ما فيها من التوسل والاستعطاف، فهي تفيد أنه لا يخاطب شخصا غريبا عنه ولكن يخاطب أقرب الناس رحماً إليه وهو أبوه. وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فإنه قال: ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾، فأقبل عليه بفظاظة الكفر وغلظ العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل قوله يا أبت، بقوله يا بني، وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿أراغب أنت﴾ لأنه كان أهم عنده، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته. بالإضافة إلى التهديد الذي هدده به حينما قال: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾، فقابل كل أنواع التلطف والترفق بفظاظة وغلظة عظيمتين كبيرتين، مع تهديد بالعقاب وأمر بالهجران. لكن مع ذلك يبدو واضحا أن الأب أفحمته حجة إبراهيم عليه السلام، فلم يرُد عليه بقوله مثلا: ولكن هل إلهك يسمع ويبصر ويغني عنك شيئا، أو وهل أنت تعلم أكثر مني رغم صغرك في السن، بل إنه تجاهل كل ما تقتضيه هذه التساؤلات الحجاجية من رد، واقتصر على الإنكار على إبراهيم عليه السلام الرغبة عن عبادة آلهته، مثله في ذلك من استيقنت نفسه بالآيات والحجج، لكنه استكبر عنها وكَفَر بها ظُلماً وعُلوا.

قال فخر الدين الرازي رحمه الله: "وَاعْلَمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَتَّبَ هَذَا الْكَلَامَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، لِأَنَّهُ نَبَّهَ أَوَّلًا عَلَى مَا يُدْلُّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِاتِّبَاعِهِ فِي النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَتَرْكِ التَّقْلِيدِ، ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ غَيْرُ جَائِزَةٍ فِي الْعُقُولِ، ثُمَّ خَتَمَ الْكَلَامَ بِالْوَعِيدِ الزَّاجِرِ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي، ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْرَدَ هَذَا الْكَلَامَ الْحَسَنَ مَقْرُونًا بِاللُّطْفِ وَالرِّفْقِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي مقدمة كل كلام يا أَبَتِ دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ الْحُبِّ وَالرَّغْبَةِ فِي صَوْنِهِ عَنِ الْعِقَابِ وَإِرْشَادِهِ إِلَى الصَّوَابِ، وَخَتَمَ الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِمَصَالِحِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِوُجُوهٍ: أَحَدُهَا: قَضَاءً لِحَقِّ الْأُبُوَّةِ عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء: 23) وَالْإِرْشَادُ إِلَى الدِّينِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، فَإِذَا انْضَافَ إِلَيْهِ رِعَايَةُ الْأَدَبِ وَالرِّفْقِ كَانَ ذَلِكَ نُورًا عَلَى نُورٍ. وَثَانِيهَا: أَنَّ الْهَادِيَ إِلَى الْحَقِّ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ رَفِيقًا لَطِيفًا يُورِدُ الْكَلَامَ لَا عَلَى سَبِيلِ الْعُنْفِ لِأَنَّ إِيرَادَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعُنْفِ يَصِيرُ كَالسَّبَبِ فِي إِعْرَاضِ الْمُسْتَمِعِ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ سَعْيًا فِي الْإِغْوَاءِ. وَثَالِثُهَا: مَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ عليه السلام: "أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنَّكَ خَلِيلِي فَحَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَنْ أُظِلَّهُ تَحْتَ عَرْشِي وَأَنْ أُسْكِنَهُ حَظِيرَةَ قُدْسِي وَأُدْنِيَهُ مِنْ جِوَارِي"

ويعزز هذا كله الموقف الأخير لإبراهيم عليه السلام بعد تعنت أبيه وفظاظته وتماديه في الباطل، بقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾. فرغم التهديد والوعيد، والزجر والأمر بالهجر والقطيعة، يخفض إبراهيم لأبيه جناح المودة والسلام، معلنا لأبيه أنه لن يلحقه أي أذى من عنده مهما كان الحال، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾، فما كان ليقابل الفظاظة بمثلها، مع أنه يعلم أنه على الحق وعلى هدى من الله، ولكنه منهج الدعوة إلى الله تعالى، ومنهج التعامل مع الوالدين، حتى ولو كانا كافرين، ليقرر الاعتزال وليس الهجران، آملا أن يكون استغفاره لأبيه - بروراً به وإحساناً إليه - سبباً في أن يهديه الله إلى التوحيد فيغفر له ما سبق، إذ لم يكن إبراهيم في هذا الوقت قد تلقى نهياً من الله تعالى عن الاستغفار لأبيه.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني

إنا لله وإنا إليه راجعون

والدة الأستاذ محمد البوشيخي في ذمة الله

انتقلت إلى عفو الله تعالى السيدة زينب البوشيخي عن سن يناهز ثمانين سنة، وذلك يوم 2016/04/25.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي لجميع أبنائها وعلى رأسهم الأستاذ محمد البوشيخي وأصهارها وكل أفراد عائلتها، ونسأل الله أن يشملها بمغفرته ورحمته، وأن يلهم أهلها الصبر والاحتساب، و"إنا لله وإنا إليه راجعون".

مكانة العلم وعواقب الغش في الامتحانات

الخطبة الأولى:

أما بعد؛ فإن من مزايا هذا الدين الحنيف أنه يحث على العلم ويرفع من قدر العلماء. والمسلم الحق هو الذي يتعهد عقله بالعلم، وينور فكره بالمعرفة، ويعمر أوقاته بالتحصيل والدراسة، ويعتبر ذلك فريضة من الفرائض وواجبا من الواجبات، عملا بقول رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (أخرجه ابن ماجه 224 وابن عبدالبر في جامع بيان العلم 1\8-9). ويكفي المسلمين اعتزازا وافتخارا وتشجيعا على طلب العلم والإقبال على مجالسه أن الله تعالى رفع من شأن العلماء، فخصهم بخشيته وتقواه، وجعل ذلك الشرف مقصورا عليهم دون غيرهم من الناس، فقال عز من قائل: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: 28)، ثم قال سبحانه: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (الزمر: 9)، وجاء رجل إلى النبي ﷺ -وهو في المسجد- فقال له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال ﷺ: «مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها..» (أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد).

ونظرا لأهمية العلم وفضله في حياة الأفراد وتقدم المجتمعات ونهضة الأمم، كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لا يكفون عن الاستزادة من التعلم ومتابعة التحصيل مهما عظمت منزلتهم العلمية، ومهما تقدم بهم العمر، ويرون أن العلم يحيا وينمو ويزكو بالمتابعة، ويذبل ويجف بالهجر والانقطاع.

لذلك قال أحدهم: "لا تزال عالما ما كنت متعلما، فإذا استغنيت كنت جاهلا".

وقيل للإمام عبد الله بن المبارك: "إلى متى تطلب العلم؟" قال: "حتى الممات، ولعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد".

وسئل أبو عمرو بن العلاء، فقيل له: "حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟"، فقال: "ما دام تَحْسُن به الحياة".

ألا ما أحب العلم إلى قلوب هؤلاء العلماء!!

وما أجله في نفوسهم!! وما أرفعه في أعينهم!!

وما أحوج المتعلمين في هذا العصر إلى الاقتداء بهم والسير على نهجهم واتباع طريقتهم، لأن العلم هو النور، وهو الحياة، وأما الجهل فهو العار والظلمات، وهو الممات!!

اللهم زينا بزينة العلم والأدب، ونعوذ بك اللهم من الجهل والغضب.

الخطبة الثانية:

هكذا كان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم يعظمون العلم ويقبلون على التعلم ويكرمون العلماء إيمانا منهم بالدور الفعال الذي تلعبه رسالة العلم في البناء الحضاري، وبالمسؤولية الجسيمة التي تلقى على عاتق العلماء في تحصين المجتمعات وحمايتها وتحقيق أمنها واستقرارها.

ولكن كيف أصبح الناس ينظرون إلى الرسالة؟

وما هي مكانة العلم عندهم؟

هل يستطيع الأطباء الغشاشون أو المهندسون مثلا أن يعالجوا مريضا، أو يخططوا لبناء عمارة أو مد قنطرة؟!

وهل يستطيع المتخرجون الغشاشون المتخصصون في العلوم الدينية أن يظهروا حكما شرعيا في أمر أو نازلة أو قضية، وهم يعلمون أنهم حصلوا على شهادة علمية بالغش والتدليس؟!

إن مواقفنا وسلوكاتنا وممارساتنا لتكشف بوضوح وجلاء عن دنو مكانة العلم عندنا وهبوط منزلته، وعن التقليل من شأن العلماء بيننا، فبعد أن كان سلفنا يجعلون العلم طريقا للسعادة والنجاح وسبيلا للفوز والفلاح، أصبح الناس في زمننا هذا يتخذون من العلم وسيلة لكسب القوت وأداة للاسترزاق، وحتى يتحقق لهم ذلك يستوجب على كل متعلم أن يجتاز امتحانا ليحصل على نقطة ينال بها شهادة تفتح له آفاق الحصول على عمل والظفر بمنصب أو وظيفة، فتهافَتَ الجميع على النقط وتنافسوا على الشهادات، وراحوا يبتكرون أساليب الغش وأنواع المكر والحيلة والخديعة، وتركوا الجد والاجتهاد والمثابرة جانبا، وحملوا أسلحة أخرى دون سلاح العلم والمعرفة، همهم الوحيد وشغلهم الشاغل كسب النقط وانتزاع الشهادة دون اعتبار للرصيد المعرفي والكفاءة العلمية، فانعدمت الرغبة في التعلم وقل الاهتمام بالدروس، وضعف الاعتناء بالبحث والتحصيل، وأصبح التردد على المدارس والمعاهد والجامعات دون هدف سام ولا غرض نبيل، فانطفأ فيها النور وخفت الشعاع، وتحولت إلى فضاءات توتر واختلاف، وغاب فيها الحس الرسالي، وحضر فيها الهاجس التجاري، وأصبحت محط أنظار أصحاب المال والاستثمار، وانتشرت مختلف الوسائل والأساليب غير المشروعة التي تمنح للمتعلمين والدارسين نقطا عالية ومعدلات خيالية دون تعب ولا نصب وبلا كد ولا اجتهاد، شعارهم في ذلك: "من نقل انتقل، ومن اعتمد على نفسه بقي في قسمه"، فشاع الغش بأساليب دقيقة ومتطورة، وسهل على المتحنين أن يتعرفوا على الأجوبة دون استعمال فكر أو إخراج عصارة دماغ، حتى ترسخ في نظر الكبير والصغير أن الغش في الامتحان حق مشروع، وأسهم في هذا الضلال أصحاب القلوب المريضة من الآباء والأمهات، وذوو النفوس الضعيفة من المربين والمسيرين، واتخذها الانتهازيون تجارة رائجة، واستشرى هذا المرض حتى تحول الغش إلى طريقة عيش ومنهاج حياة، والله تعالى لا يبارك في علم محصل بغش، وصاحب العلم المغشوش لا ينتفع بعلمه، ولا ينفع به غيره، والمتعلم الغاش لا يستطيع أن ينتج عملا جيدا بعلم مغشوش؛

فهل يستطيع الأطباء الغشاشون أو المهندسون مثلا أن يعالجوا مريضا، أو يخططوا لبناء عمارة أو مد قنطرة؟!

وهل يستطيع المتخرجون الغشاشون المتخصصون في العلوم الدينية أن يظهروا حكما شرعيا في أمر أو نازلة أو قضية، وهم يعلمون أنهم حصلوا على شهادة علمية بالغش والتدليس؟!

إن طالب العلم إذا اتقى الله جل وعلا في نفسه بارك الله تعالى له في علمه، ونور له عقله، وشرح له صدره، وفتح له بصيرته، ويسر له أمره، ونفع به مجتمعه، وأسعد به أمته، ونال خير الدنيا وثواب الآخرة، عملا بقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: 3)، وقوله ﷻ: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ (الطلاق: 4).

اللهم إنا نسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء...

ذ. إدريس اليوبي

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

اتباع النساء للجنائز

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: "نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا" (متفق عليه). ومعناه لم يشدد في النهي كما يشدد في المحرمات.

نهي المرأة عن اتباع الجنازة له ضوابط، قال المهلب رحمه الله تعالى: "هذا الحديث يدل على أن النهي من النبي ﷺ على درجات: فيه نهي تحريم، ونهي تنزيه، ونهي كراهة، وإنما قالت أم عطية رضي الله عنها: "ولم يعزم علينا" لأنها فهمت من النبي ﷺ أن ذلك النهي إنما أراد به ترك ما كانت الجاهلية تقول من الهجر وزور الكلام وقبيحه، فهي إذا تركت ذلك وبدلت منه الدعاء والترحم عليه كان خفيفا، فهذا يدل أن الأوامر تحتاج إلى معرفة تلقي الصحابة، وينظر كيف تلقوها".

فإذا كانت المرأة قليلة الصبر وتملأ جو المقبرة بقول الهجر فهذه تحرم عليها الزيارة لما يترتب عليها من الوزر.

وكذلك إذا كان اتباع المرأة للجنازة يؤدي إلى فتنة الرجال بها فالأمر في هذا الحال يتجه إلى الكراهة، وقد كره مالك رضي الله عنه اتباع الجنازة للشابة. وقد قال الزين ابن المنير رحمه الله تعالى: ولا يخفى أن محل النزاع إنما هو حيث تؤمن المفسدة.

قوله: "ولم يعزم علينا" قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "أي لم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم".

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "ظاهر سياق أم عطية أن النهي نهي تنزيه، وبه قال الجمهور، ومال مالك إلى الجواز، ويدل على الجواز أن عمر رضي الله عنه رأى امرأة في جنازة فصاح بها فقال له النبي ﷺ: «دعها يا عمر»" (رواه ابن ماجة والنسائي وقال ابن حجر رجاله ثقات).

وقال الطبري رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون المراد بقولها: "ولم يعزم علينا" أي كما عزم على الرجال بترغيبهم في اتباعها بحصول القراط ونحو ذلك.

وقد قال فريق من العلماء بجواز اتباع النساء للجنازة منهم ابن عباس، وسالم، والقاسم، والزهري، وربيعة، ورخص مالك في ذلك، وقال قد خرج النساء قديما في الجنائز.

وكره لهن ذلك ابن مسعود، وابن عمر، وعائشة، ومسروق والنخعي، والأوزاعي وقال الثوري: اتباع النساء الجنازة بدعة.

شهر يغفل عنه الناس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ﷺ، وبعد،

لقد خص الله تعالى بعض الأزمنة والأمكنة بمزية تفضلها عن غيرها، وبخصيصة لا توجد فيما دونها، وهذا فضل الله يضعه حيث يريد، ورحمته يختص بها من يشاء وما يشاء وكيفما شاء ومتى شاء، فإذا فضل سبحانه زمانا على زمان، أو مكانا على مكان، فهو بمحض اختياره، ونفوذ مشيئته في جميع خلقه، وانفراده باختيار ما يختار، لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره.

وإن مما اختص الله تعالى به بعض الأزمنة شهر شعبان، فقد أودع فيه من الفضائل ما يدعو المسلم الكيس الفطن إلى الاعتناء به ومعرفة فضله، وما يشرع فيه من الأعمال الصالحة الثابتة عن النبي ﷺ، فيسارع إلى فعلها ويحرص على أدائها، وهذا هو موضوع حديثنا، ولنشرع فيه بإذن الجواد الكريم.

فضل شهر شعبان:

روى الإمام النسائي في سننه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: "قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»"(1).

يبين هذا الحديث ما اختص الله تعالى به شهر شعبان من فضل عظيم كونه شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العباد، وهذا لعمري أمر جليل لا يقدره قدره سوى من اهتم بعمله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، من أعمال القلوب والجوارح، وهذا ما تنبه له حِب رسول الله ﷺ وابن حِبه رضي الله عنه.

وذكر النبي ﷺ لهذا الأمر تنبيه وتوجيه منه للمؤمنين إلى وقت رفع الأعمال إلى الله ﷻ مما يحفزهم أولا على إصلاح أعمالهم بتحري الإخلاص والصواب والمتابعة فيها لمراد الشارع منهم في كل الأحوال والأوقات، وثانيا الاعتناء بوقت رفع هذه الأعمال وتعميره بما يشفع لها من الأعمال الصالحة ويجبر ما فيها من نقص أو خلل أو سهو، ويكون أدعى وأحرى لقبولها عند الله تعالى، وأجزل مثوبة، وأرفع درجة، وأزكى بركة، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ولعِظَم هذا الفضل وجلالته بين النبي ﷺ حالَ الناس في هذا الشهر الفضيل، حيث يغفلون عن فضله وعن واجب الوقت فيه، وسبب الغفلة عنه وقوعه بين شهرين عظيمين: الأول: شهر رجب وهو من الأشهر الحرم، والثاني: شهر رمضان الأبرك، والناس "يكثرون العبادة في هذين الشهرين، ويتساهلون بينهما في شعبان"(2) مع كونه شهرا ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وهذه مناسبة تستحق من كل مسلم الوقوف عندها، وإعطائها حقها، وفرصة لتجديد العهد مع الله بصالح الأعمال وجميل الأقوال، وطرد للغفلة عن القلب، وتنكيل بعدو الله وعدو المؤمنين عليه لعنة الله، فوسوسته لا تجدي إلا مع الغفلة والنسيان.

مع العلم أن رفع الأعمال وعرضها على الله تعالى ليس خاصا بشهر شعبان، فهناك عرض للأعمال كل يوم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»"(3).

وهناك عرض للأعمال كل يوم إثنين وخميس، فعند النسائي أيضا عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم، إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما، قال: "«أي يومين؟» قلت: يوم الإثنين ويوم الخميس، قال: «ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»" (4).

وعلى هذا فإن "أعمال العباد تعرض على الله كل يوم، ثم تعرض عليه أعمال الجمعة في كل اثنين وخميس، ثم تعرض عليه أعمال السنة في شعبان، فتعرض عليه عرضا بعد عرض، ولكل عرض حكمة يطلع عليها من يشاء من خلقه، أو يستأثر بها عنده، مع أن الله لا يخفى عليه من أعمالهم خافية"(5).

أعمال شهر شعبان:

إن الغاية من إظهار فضل شهر شعبان ليس لمجرد المعرفة وزيادة العلم بذلك، وإنما المقصود التفطن إلى ما يجب على المسلم فعله والقيام به، كما نبه على ذلك سيد الخلق ﷺ حين أظهر لأسامة رضي الله عنه حكمة وسبب إكثاره من الصوم في هذا الشهر دون غيره من شهور السنة باستثناء شهر رمضان الكريم، وهذا إرشاد وتشريع منه ﷺ إلى فضائل الأعمال التي يحسن بالمؤمن القيام بها أثناء رفع عمله وعرضه على رب العزة والجلال، ومن جملتها:

أ - الصيام: وقد كان النبي ﷺ يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره، ففي الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان، فكان يصوم شعبان كله إلا قليلا"(6).

فظهر بذلك أن أفضل الأعمال الصالحة في هذا الشهر هو الصيام، ولعل الحكمة من ذلك قربه من شهر رمضان، "فتكون منزلته من الصيام بمزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها، فيلتحق بالفرائض في الفضل، وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده. فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد منه"(7).

ولا يخفى على لبيب فضل الصيام عموما، وهو من أنسب العبادات والطاعات التي يشفع بها المسلم أعماله كلها عند عرضها على ربه سبحانه وتعالى، والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة لا داعي لإيرادها، والله أعلم.

ب - القرآن الكريم: وقد كان السلف رضوان الله عليهم يكثرون العناية بالقرآن الكريم في هذا الشهر المبارك، وقد روي عن أنس رضي الله عنه (8) قال: كان المسلمون إذا دخل شعبان أكبوا على المصاحف فقرؤوها، حتى أنهم كانوا يسمونه شهر القراء، كما قال سلمة بن سهيل: كان يقال شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء، وكان عمرو بن قيس المُلائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن(9).

ج - الإكثار من الأعمال الصالحة: من جنس الأعمال المشروعة في شهر رمضان، "فلما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن، ليحصل التأهب لتلقي رمضان، وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمان"(10)، ومن أجل الأعمال النافعة لحصول التأهب كثرة الصدقات وإطعام المساكين، ودوام ذكر الله تعالى بالأذكار المسنونة عن سيد الخلق ﷺ، والحرص على قيام الليل بما يطيق العبد حتى يكون ذلك عونا له على الاستعداد وترويض النفس على الطاعات والعبادات، والله الموفق سبحانه.

وكما قالوا: إن شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر السقي، وشهر رمضان شهر الحصاد، فلينظر كل منا ماذا زرع وبماذا سيسقي، حتى يطيب حصاده وثمره، وفقنا الله لكل خير، وأعاننا على كل بر، هو ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

---

1 - أخرجه الإمام النسائي في السنن الصغرى، كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي وذكر اختلاف الناقلين في ذلك، حديث رقم:2357 ص: 256 (طبعة بيت الأفكار الدولية)، والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي حديث رقم: 2357، وكذلك الشيخ محمد علي آدم في ذخيرة العقبى شرح المجتبى (268/21).

2 - ذخيرة العقبى شرح المجتبى للشيخ محمد علي آدم (268/21).

3 - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: قوله ﷺ: عن الله لا ينام، حديث رقم: 179 (صحيح مسلم، تحقيق نظر الفريابي، ط1، 1427هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض).

4 - أخرجه الإمام النسائي في السنن الصغرى، كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي وذكر اختلاف الناقلين في ذلك، حديث رقم: 2358 ص: 256 (طبعة بيت الأفكار الدولية)، والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي حديث رقم: 2357، وكذلك الشيخ محمد علي آدم في ذخيرة العقبى شرح المجتبى (268/21).

5 - ذخيرة العقبى شرح المجتبى للشيخ محمد علي آدم (268/21).

6 - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: صوم شعبان، حديث رقم: 1969 (صحيح البخاري، ط1، 1423هـ، دار ابن كثير، بيروت).

7 - لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص 249 (تحقيق: ياسين السواس، ط6، 1421هـ، دار ابن كثير، بيروت).

8 - لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص 258، وقال إسناده ضعيف.

9 - كل هذه الآثار عن التابعين أوردها ابن رجب رحمه الله في لطائف المعارف ص 258-259.

10 - لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص 258.

يحيى عارف

طالب العلم ونور الله أين علاقة؟

إن الإمام مالك رحمه الله قد وضع القاعدة الجوهرية لبلوغ طالب العلم غايته، حينما قال للشافعي وهو في بدايات طلبه للعلم: "إني أرى الله قد ألقى في قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية"، وهذا لعمر الله إنه لحصن حصين، وصرح متين، وزاد معين، لكل سالك لهذا الطريق يلتمس فيه العلم، وقد اتفق أهل العلم العارفون بالله على هذا، فجعلوه اللبنة الأساس لسالك هذا الطريق، إذ نجد الإمام وكيع يجيب الشافعي بنفس التوجه للإمام مالك، وذلك ظاهر في أبيات الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني أن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصي

كما أن الإمام أحمد رحمه الله أنكر على طالبه أنه لا يقوم الليل، إذ لا يقبل الله من طالب علم ليس له حظ من أعمال تقربه من ربه سبحانه وتعالى.. فعلاقة طالب العلم بنور الله هي علاقة ترابط وتكامل وتزامن، بل علاقة وجود وعدم، فمتى ما وجد نور الله في قلب طالب العلم وجد الخير والحفظ والفهم والاستبصار والحكمة، وبلغ من العلم غايته، وكان من أهل الله وورثة الأنبياء. أما إن انطفأ هذا النور من قلبه، مشى في ظلام دامس، ولو أن يومه شامس، ورأيته يخبط خبط عشواء، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وأصل هذا المنهج والتوجه، كتاب الله، كما في قوله سبحانه: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا﴾، فلا يحرص طالب العلم إلا على تقوى الله وطاعته واجتناب معصيته سبحانه، حتى يقذف نور الله في قلبه، وما بقي بعد ذلك فهو على الله تعالى.

أما السبيل إلى نور الله فلا يتأتى ذلك إلا بأمور:

1 - طهارة المحل: وهو القلب، إذ نور الله لا يدخل قلبا على وجه الإطلاق به دخن أو أدران وأوساخ: (فساد النية، الرياء، النفاق، الكبر، العجب، الحسد، الحقد...).

2 - التعلق بما نزل من السماء: وهو القرآن الكريم، فبقدر ما يكون هذا التعلق تعلما وتعليما وتدبرا وعملا، بقدر ما يستنير قلب العبد ويشرح الله صدره بالأنوار الإلهية المبصرة له.

3 - التعلق بما فرض في السماء: وهي الصلاة، والسير إلى الله من غير مسلك الصلاة ضرب من التيه، وكل الأعمال راجعة إلى مدى سلامة هذا الأصل قصدا ووقتا وأداء، وإلا فعلى كل هذه الأعمال السلام. وأصل هذه الثلاث قوله تعالى: ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾.

فقف يا طالب العلم وقفة صدق تراجع فيها منهجك قصد التسلح بنور الله، فهو الحامي لظهرك، والمعين على دربك.

يوسف بلهادي

من ضوابط التعامل مع أقوال العلماء وأفعالهم في المنهجية الإسلامية

د. أحمد زايد

من فضائل الإسلام وخصائصه أنه دين محفوظ، ومن مظاهر حفظه أنه المعيار والحاكم على أقوال الخلق وتصرفاتهم، وليسوا هم المعيار ولا الحاكمين عليه، وهذا المقال إطلالة وجيزة نستبين بها المنهجية الإسلامية فيما يجب أن تكون عليه مواقفنا من أقوال الناس وأفعالهم، وانتماءاتهم، كيف نفهمها ونتعامل معها ونقيمها؟ وكيف نرى أنفسنا وشيوخنا ومذاهبنا وانتماءاتنا؟

والسبب الداعي إلى تناول هذه المسالة -على بداهتها- وقوع البعض في شبهة علمية وخطأ منهجي خلاصته: التقديس والتعظيم الحاصل من البعض تجاه الفضلاء من العلماء والأئمة والمصلحين والصالحين، والتيارات والانتماءات، تقديسا أفضى إلى التعصب تعصبا فيه من الحدة والشدة ما لا يليق بمسلم الوقوع فيها.

ولسنا نُحرِّجُ على المسلم الانتماءَ لمذهب فقهي، أو توجه إسلامي، أو منحى فكري، ما دام ذلك موافقا للإسلام خادما لدعوته المباركة، محققا لمصالح الناس.

معايير منهجية ضابطة:

إذا جوَّزنا للمسلم الانتماء لمذهب أو شيخ أو تيار إسلامي، فلابد مع ذلك من إدراك هذه الجملة من القواعد المنهجية الضابطة:

1 - **لا قول لأحد مع قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ:** وقد حذر السلف من عاقبة تقديم آراء الرجال على نصوص الوحي الشريف، ولو كان هؤلاء الرجال من الفضلاء العلماء، فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر"، وكذلك نبه الإمام أحمد لهذه المسألة بقوله: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: 63)، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك".

2 - **لا عصمة إلا للمعصوم ﷺ:** فكل فاضل عرضة للخطأ والوهم، بل ربما ركب مركب الهوى، فلا ينبغي أن يحملنا الحب والإجلال لفاضل على اعتقاد براءته من الخطأ، ولذا ينسب لابن عباس ومجاهد والشعبي ومالك رحمهم الله جميعاً قولهم: "ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي ﷺ"، ومع ذلك فلا ينبغي أن تهدر فضائل ذوي الفضل لشيء صدر منهم، وفي ذلك كلام نفيس لابن القيم في "إعلام الموقعين" يقول فيه: "ومَنْ له علم بالشرع والواقع يَعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قَدَم صالح وآثار حسنة، وهو مِنْ الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلّة، هو فيها معذور؛ بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين".

3 - **لا تؤمن الفتنة على حي:** فقد يُفتنُ غدا صالح اليوم، وقد يضل غدا مهتدي اليوم، والرجل المعظم بين الناس لعلمه وفضله وصلاحه الظاهر لا ينبغي أن نقلده ديننا ما دام حيا، ففي الحلية لأبي نعيم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لا يقلدن أحدكم دينه رجلا، فإن آمن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لا بد مقتدين فاقتدوا بالميت؛ فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة"، وفيها كذلك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ".

4 - **التزام فضيلة التوسط في معاملة الفضلاء،** فالمسلم يحب العلماء ويعرف حقهم ويعاملهم بما يليق بمكانتهم بلا تقديس ولا تبخيس، فلا يرفعهم إلى غير مكانهم ومكانتهم، ولا ينزل بهم إلى ما لا يليق بهم، وفي الحكمة: "خير الأمور أوسطها".

5 - **الخير والحق موزع بين طوائف المؤمنين:** مساحة الحق والخير واسعة، ولا توجد طائفة من المسلمين تمتلك الحق دون سواها، والمسلمون جميعا على اختلاف طوائفهم فيهم خير وشر، وحق وباطل، وما يُحمدُ وما يُذم، ولم يجتمع الخير كله دون شر إلا لمحمد ﷺ، والمسلم يزن الناس بميزان عدل، وقد قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: "ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا و فيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وُهِبَ نقصه لفضله).

6 - **الإنصاف في الحكم على الآخرين:** من انتمى لتوجه أو لشيخ ما، أو لحركة أو مذهب فلا ينبغي له أن يجور في الحكم على الآخرين، أو أن يجاوز الإنصاف في النظر إليهم، كما لا يجوز له أن يمدح طريقته ومذهبه بإطلاق، ومن أعدل كلمات ابن تيمية رحمه الله تعالى كلماته في الصوفية عندما تعرض لاختلاف الناس فيهم قائلا: "طائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم وادَّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله تعالى، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه، وقد انتسب إليهم من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم".

هذه بعض الإلماحات العلمية الضابطة لنظر المسلم حيال التعامل مع الأفراد والشيوخ والجماعات والمذاهب الإسلامية، والإنصاف عزيز، ورحم الله امرأ عرف الحق فسلك سبيله.

خواطر في تدبر القرآن الكريم (الأخيرة)

أنور الحمدوني

27 – حري بنا أن نتعلم من رسل الله مناهج الدعوة وأساليب البلاغ المبين، فهذا نبي الله موسى عليه السلام لما نبأه الله وكلفه بالرسالة، طلب ما فيه العون له على أداء الرسالة وتحقيق المقصود، قال تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا﴾ (طه: 34-23).

فما أحسنه من برنامج لإعداد الداعية الرباني الرسالي، إذا كان يضم بين فقراته:

● الصدر المنشرح، لأن سكينة النفس وخلو القلب من دواعي القلق والخوف والاضطراب، عوامل ضرورية للنجاح في أداء الرسالة.

● تيسير الأمور، وهو أمر يتولاه الرب سبحانه، وعلى الإنسان اتخاذ الأسباب وصدق التوكل..

● حل عقدة اللسان، تنبيها على أن فن البيان، آلية لتبليغ الخطاب إلى متلقيه بالطريقة الأنسب، فلا يجمل بصاحب الرسالة أن يقدم كنزا كبيرا في طبق سيء المظهر ينفر السامعين بدلا من استمالتهم ليفقهوا القول ويعوه جيد الوعي.

● شريك في الأمر، يشد الأزر ويتعاون على البر والتقوى، فالعمل الجماعي قوة وبلاغ، يستغرب من أصحاب الرسالات إهماله والغفلة عن آثاره، باعتماد الجهد الفردي والاكتفاء بالرأي الشخصي، وحسبك بسؤال موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل، بأن يعضده أخوه هارون في تحمل الرسالة.

● استصحاب الزاد الإيماني ﴿كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا﴾، فلا يعول على قلب خال من الخشية أو لسان غافل عن ذكر الحق تبارك وتعالى.

فيا أهل الدعوة والبلاغ، ليكن لكم في نبي الله موسى عليه السلام قدوة وأسوة..

28 – ما أعظم رحمة الله بعباده المؤمنين، إذ سوى بينهم وبين الأنبياء في إجابة الدعاء وكشف الكربات، يقول تعالى في قصة يونس عليه السلام: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ (الأنبياء: 87-86).

فهذا نبي من أنبياء الله وقع له ما وقع مما قصه القرآن علينا في مواضعه، فلما أن انتهى به الأمر إلى بطن الحوت، لجأ وهو في ظلمات أعماق البحر إلى الحي القيوم بتسبيحه ﷻ، وإقراره على نفسه بظلمه، فاستجاب له الحق سبحانه وتعالى ونجاه مما هو فيه من الغم؛ لكني أجد أفضل ما في الأمر أن يختم الله ذلك بقوله: ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾.

فهل يتصور أن يقع لأحدنا من الغم والشدة أعظم مما وقع ليونس عليه السلام؟ وهل تكون الكرب التي تنزل مثل الظلمات التي أحاطت بهذا النبي ﷺ؟

لو كان الأمر كذلك فإن عندنا البلسم الرباني، فالذي نجى يونس عليه السلام من ظلماته بدعاء، وعدنا ووعده الحق، أن ينجينا كذلك من ظلماتنا مهما اشتدت، فله الحمد على إنعامه وإفضاله..

29 – جاء في الآثار أن ناسا كانوا إذا قدموا المدينة مسلمين، فصحت أجسامهم وأنتجت خيلهم ورزقوا الولد وأصابوا خيرا، قالوا هذا الدين حق، وإن أصابهم غير ذلك وابتلوا بشيء من مرض أو قحط أو مصيبة، قالوا هو باطل، وارتدوا على أعقابهم كافرين، فأنزل الله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (الحج: 11).

والمقصود أنهم في شك من أمرهم وتردد وضعف، كضعف القائم على حرف، وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد، فيكون الواحد منهم على حد يوشك أن تزل قدمه ويقع مترديا.

إن الإيمان بالله تعالى وعبادته والدخول في دينه وشرعه، ميثاق عظيم وعهد مسؤول، هو اختيار لطريق الحق والهدى الذي فيه نجاة المرء في الحياة الأبدية من غضب الله تعالى وعقابه، وفوز بجنة عرضها السماوات والأرض وبرضوانه، لذلك لم يكن رسول الله ﷺ يعد من يدخل في هذا الدين بوعد زائل من سعة في الدنيا، أو ملك أو جاه أو منصب، بل يخبر بما أعد الله للمتقين من ثواب الآخرة ونعيمها.

لذلك، فليس بمستساغ ما يوحي به البعض اليوم من الربط الآلي بين الالتزام بالدين وتحقيق الرخاء الفوري والرفاهية المادية، فإن الدين تزكية للروح، وارتقاء بالإنسان وتحقيق لكرامته، وطلب للعزة على منهج الله ﷻ وابتغاء مرضاته؛ أما غير ذلك فإن لكل ميدان سننه وأسبابه، من أخذ بها واستفاد من تسخيرها، نال ثمرتها وأدرك منتوجها.. ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ليكن مقصودنا أن نعبد الله على مراده منا، لا على مرادنا منه..

30 – شعور رائع، ذلك الذي نحسه ونحن نسجد سجدة التلاوة عند قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج: 18).

فما أروع أن تكون جزءا من عالم متناغم ومنسجم يضم السماوات بعلوها، والأرض باتساعها، والشمس بضيائها، والقمر بنوره، والنجوم بتعدادها، والجبال بقوتها، والشجر بألوانها، والدواب بأنفاسها، إضافة إلى كثير من الناس، يسجد الجميع في وقت واحد تعظيما وإجلالا للواحد الأحد..

لست وحدك أيها الساجد، فاستمتع بسجود وجهك للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته سبحانه.

خاتمة هذه الخواطر:

كان مالك بن دينار رحمه الله يقول: "ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض".

فاطلب، رعاك الله، حياة قلبك في غيث القرآن...

لقاء تكويني بكلية الشريعة بفاس بعنوان:

علم أصول الفقه وسؤال المنهج

في إطار برنامج استكمال التكوين ودعم الثقافة الجامعية في نسخته السابعة تنظم كلية الشريعة بفاس ومختبر اللغات والتواصل الديني بالكلية وبشراكة مع جمعية بادرة للتنمية والثقافة بفاس،لقاء تكوينيا في موضوع:

"علم أصول الفقه وسؤال المنهج".

افتتح اللقاء بآيات بينات من الذكر الحكيم، ثم تلتها كلمة السيد حسن الزاهر عميد كلية الشريعة التي نوه فيها بالحضور الكثيف كما شكر الأستاذ المحاضر مولود السريري على تلبية الدعوة، ثم أعقبت كلمة العميد بكلمة لمختبر اللغات والتواصل الديني، ألقاها الأستاذ عبد المالك العلمي أستاذ بالكلية.

صدر الشيخ المحاضر حفظه الله محاضرته بكلمة شكر وتنويه بالمبادرة وبالحضور الجم، ثم انتقل للحديث عن الموضوع والهدف منه حيث قال: إن الهدف من هذا اللقاء هو بيان المناهج الأصولية التي إذا استوعبت أعانت على بناء الدرس الأصولي مميزا ومبنيا على أسسه التي ينبغي أن يبنى عليها، إذا أطلق الأصوليون مناهج الأصول فإنهم يعنون بذلك مناهج تغاير ما سواها وتتميز عمن سواها وتختص بخصائصها إذا قوبلت بغيرها، وهذه المناهج المقصود منها بناء إنسان قادر على أن يمضي على قواعدها على الوجه الذي يمكنه من تبليغ رسالته.

وقسم فضيلته مناهج أصول الفقه بحسب طبعها إلى طرق هي:

❖ **الطريقة الأولى: تقسيم المناهج بحسب المذاهب الكلامية.**

❖ **الطريقة الثانية: تقسيم الناهج بحسب المواضع.**

❖ **الطريقة الثالثة: تقسيم المناهج باعتبار المذاهب الفقهية.**

❖ **الطريقة الرابعة: تقسيم المناهج بحسب مناهج التأليف.**

❖ الطريقة الأولى: تقسيم المناهج بحسب المذاهب الكلامية.

أراد بهذا التقسيم تمييز المذهب الاعتزالي عن غيره من المذاهب الكلامية، قال: واجب علينا أن نسميه منهجا مستقلا؛ لأنه نظم مسائل هذا العلم في سبك القواعد التي اعتبرها أساسا في هذا العلم، لذلك فهو منهج استكمل جميع شرائط ذلك، وهذا المنهج الاعتزالي وجد في علم الأصول باعتباره متجليا في جملة من القواعد الكلامية العقادية التي وقع فيها الخلاف بينهم وبين المعتزلة، فاستصحبوها إلى علم أصول الفقه فجروا عليها في بناء الأحكام وفي التحليل وفي التقويم وفي سائر وجوه البحث والنظر في هذا الباب، وهذه القواعد الاعتزالية مأخوذة من معتقداتهم في الصفات، فقرروها في علم الكلام واستصحبوها إلى أصول الفقه، ولكن استصحابهم -يقول المحاضر- لهذه القواعد الكلامية إلى علم الأصول لا يوجب الاختلاف مع غيره من أرباب المذاهب الأخرى إلا في المسائل التي تدخل تحت هذه الأصول التي اختلفوا فيها، وبذلك فإن مواضع الخلاف بين المعتزلة وبين الأشاعرة في أصول الفقه محدد في أربعة مواضع:

- **الموضع الأول:** فيما يسميه المناطقة بمواد القضايا، وهي الوجوب، والاستحالة، والإمكان، وهو الموضع الذي وقع فيه خلاف شديد بينهم.
- **الموضع الثاني:** بناء المفاهم، التي وقعت تحت حكم هذه القواعد العقدية المختلف فيها.
- **الموضع الثالث:** توجيه الإشكالات، التي عرضت في هذا الفن للفريقين.
- **الموضع الرابع:** التوجيهات التي يرون أنها لابد أن تورد في بناء المسائل.

كما مثل فضيلته لكل موضع من هذه المواضع بأمثلة مبيّنة وموضحة لهذه المناهج.

❖ الطريقة الثانية: تقسيم المناهج بحسب المواضع.

أي بحسب العلوم التي ضُمت إلى أصول الفقه، وإذا استخدم هذا المنهج فإننا نكون أمام مواجهة مناهج علماء الأصول مع غيرهم من العلماء الذين درسوا ذلك الفن من قبل.

وكما هو معلوم فإن علم الأصول يضم عدة علوم وفنون، فهو يضم اللغة وبعض مباحث النحو وعلوم القرآن وعلم الجدل وعلم الحديث. ففي هذه العلوم كلها للأصوليين مناهج يختصون وينفردون بها عن غيرهم، فتقابلوا مع أهل اللغة فكان لهم معهم منهج خاص، وتقابلوا مع المحدثين فكان لهم معهم منهج خاص كذلك وهكذا...

فهم قد يوافقون قواعد خصومهم متى وافقت قواعدهم ويخطئونهم متى خالفت قواعدهم. فبين الشيخ حفظه الله تعالى كل ما تقدم بأمثلة تظهر منهج الأصوليين مع أهل اللغة ومع الجدليين وغيرهم.

❖ الطريقة الثالثة: تقسيم المناهج باعتبار المذاهب الفقهية.

تقابل الأصوليين مع الفقهاء في عدة مسائل فكان لكل فريق منهج خاص وطريقة خاصة في التعامل مع هذه المسائل، ومثل الشيخ لهذا التقابل بعدة أمثلة منها: تقابل الأصوليين مع الفقهاء في مسألة الأداء والقضاء، فهذه المسألة رغم توافقهم في المصطلحات إلا أن لكل منهما منهجا خاصا في تقريرها، ومعروف أن الأصوليين يستعملون منهج التحقيق وأن الماهية شرط في ثبوت الاسم، وأن الفقهاء يتساهلون ويأخذون المصطلحات من الألفاظ. وضرب عدة أمثلة أخرى موضحة وكاشفة منهج كل فريق على حدا.

❖ الطريقة الرابعة: تقسيم المناهج بحسب مناهج التأليف.

بين هنا أن الأصولي إذا ألف فإنه ينظم كلامه، سداه ولحمته لا على وفق أصوله، كما وضح أن المرحلة التي نحن فيها الآن هي مرحلة الدراسة والاستقصاء في دراسة التعابير ومحاكمة المتكلم محاكمة نستعمل فيها جميع قواعد المحاكمة، نحاكمه من جهة اللغة ومن جهة البيان ومن جهة المنطق، على أن الأصوليين لا يقلدون المناطقة أبدا، وذكر كذلك أن الكتب المتداولة الآن التي يشتغل بها الشراح والمحشون في دراسة العبارات وليس بدراسة المعنى المعبر عنه؛ لذلك تجد المحشي يكتب كلاما طويلا يناقش فيه كلام الشارح أو المصنف ولا يغوص في أعماق المسألة، وهكذا.

وخلص فضيلته إلى أن جميع العلوم التي وردت في علم أصول الفقه للأصوليين فيها منهج خاص، وهذه المناهج العلمية إذا استوعبت على وجهها المطلوب وأدركت، نكون قد ملكنا زمام بناء المعرفة الأصولية على الوجه الصحيح.

■ **إعداد: نور الدين بالخير**

إقليم ميدلت، جمعيات تنظم:

النسخة الأولى من القافلة الطبية

في إطار أنشطتها الثقافية والتنموية و بشراكة مع جمعية العمل الاستعجالي، وجمعية مفاتيح الرحمة، وجمعية الأنوار للتربية والتنمية والثقافة، ومركز بناء للتدريب وبناء الكفاءات، والمنظمة المغربية للكشافة والمرشدات، نظمت جمعية موكر زنتوار النسخة الاولى من القافلة الطبية يوم السبت 7 ماي لفائدة سكان موكر زنتوار تحت شعار «الرعاية الصحية والتربوية والاجتماعية اساس التنمية البشرية» والتي أطرها 31 طبيبا ومجموعة من الممرضين من مدينة فاس في تسعة تخصصات طبية كما شهد هذا الحدث عدة أنشطة مختلفة والتي استفاد منها سكان منطقة موكّر والنواحي المجاورة بإقليم ميدلت على الشكل التالي

1 – فحوصات طبية لفائدة أكثر من 850 شخص في 9 إختصاصات.

2 – توزيع الأدوية لفائدة أكثر من 850 شخص.

3 – توزيع مساعدات اجتماعية على 120 أسرة.

4 – أربعة دورات تكوينية لفائدة أزيد من 300 تلميذ وتلميذة للسنة أولى باك والثانية باك والثالثة إعدادي في الاستعداد النفسي للامتحانات وكيفية إنجاز الخرائط الذهنية.

5 – دورة تكوينية لفائدة أطر أكثر من 10 جمعيات بعنوان تطوير وتدبير الكفاءات.

6 – حفل ختان لفائدة 17طفل، وتوزيع ألبسة ومساعدات اجتماعية للأمهات.

7 – تنشيط تربوي وتوزيع الهدايا لأزيد من 70 طفل.

وفي الختام أقيم حفل السماع والإنشاد أحيته فرقة ترانيم الفؤاد على شرف المشاركين.

■ **إعداد: بدر الحازمي**

تقرير الحالة الدينية في المغرب (2013/2015) يرصد:

واقع الحالة الدينية بالمغرب وتحدياتها

أصدر المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة العدد الرابع من تقرير الحالة الدينية في المغرب 2015/2013، أعده فريق مكون من 12 باحثا وفريق تحرير من تسعة أشخاص، وقد تعرض هذا التقرير لخمسة محاور رئيسية وهي كالتالي:

المحور الأول: الواقع الديني بالمغرب

رصدَ الملامح الكبرى لواقع التدين بالمغرب من خلال عرض نتائج الدراسات والتقارير الدولية والوطنية، منها تقرير الخارجية الأمريكية حول الحريات الدينية، وتقرير مركز بيو 2013، وتقرير البارومتر العربي، وتقرير المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات أن التدين مكون أصيل بالمغرب، لكن تعترضه مجموعة من تحديات، كما أن الشباب المغربي يعبر عن تعاطيه الإيجابي مع الدين ومع حضور الدين في الفضاء العمومي من خلال الدستور أو القوانين الأخرى، ومن خلال العمل الحكومي والتشريعي وفي تأطير الحياة الأسرية، وفي ظل الاستقرار السياسي، يعبر الشباب المغربي عن أهمية محاربة الفساد وتحقيق توازن اقتصادي، وهو ما قد يخلق إشكالات اجتماعية في حالة تعذر تحقيقه، كما أن تعاطي بعض المظاهر المخالفة للدين لا يعني الدفاع عنها.

وقام فريق علمي من جامعة القاضي عياض بمراكش باستطلاع رأي 600 من الشباب المغاربة حول الدين والسياسة، خلاصته أن الشباب المغربي له رأي إيجابي من الدين ومن حضوره في الحياة السياسية والاجتماعية من خلال الدستور، ومن خلال الحضور في العلاقة مع الدولة، ومن خلال مشروعية دور الفاعل ذي المرجعية الإسلامية في الحياة السياسية.

فمثلا في علاقة الدين بالدستور:

- 90% يرون ضرورة تضمين الدين في الدستور، إما بتشكيله فرصة لضمان حرية المعتقد أو بحسب كيفية تصريفه على مستوى أرض الواقع.
- فيما يرى 10% أن التنصيص على الدين في الدستور غير ضروري؛ لأنه يقيد الحريات.

وفي علاقة الدين بالسياسة:

- يقر 83% بمشروعية الإسلام السياسي كفاعل في الحياة السياسية،
- في حين يرى51% منهم بأن هذه المشروعية بحاجة للتأطير بنصوص قانونية تمكنه من أدوات وفرص وآليات العمل السياسي في ظل شروط المشروعية والثوابت المتواضع عليها في الفضاء السياسي المغربي.
- في مقابل 17% يعارضون أي مشروعية للإسلام السياسي في العمل السياسي ويفضلون تبني خيار من الحياة السياسية.

كما يبرز هذا المحور تجليات التدين من خلال بعض العبادات والممارسات الدينية للمغاربة كارتياد المساجد وصوم رمضان والعمل التضامني والاجتماعي والحج والإفتاء الرسمي والتوجيه الديني والعناية بالقران الكريم والتعليم الديني والوقف، وكل تلك المعطيات تؤكد نوعا من الاستقرار في مؤشرات تنامي حالة التدين لدى المغاربة، وهذا أنموذج من إحصائيات التقرير:

المساجد: كشف التقرير أن عدد المساجد المدونة بالسجل الوطني بلغ 51.000 مسجداً، منها 19.500 مسجدا جامعا، خلال سنة 2015. إضافة إلى تزايد وتيرة مساهمة المجتمع المدني في النهوض بالمساجد، حيث وصلت طلبات الحصول على رخصة بناء أو إصلاح أو توسعة المساجد إلى 479، وقد بلغت عدد المساجد التي شيدت من طرف المحسنين وفتحت في وجه المصلين سنة 2013 وحدها ما مجموعه 107 مسجداً. أما ما يخص التأطير الديني بالمساجد فقد تم تعيين 2226 قيما دينيا جديداً بالمساجد التابعة للأوقاف. وتم تأهيل حوالي 44.700 إماما في إطار خطة ميثاق العلماء سنة 2014م، بإشراف حوالي 1428 عالما مؤطرا بتكلفة قدرها 104 مليون و362 ألف درهم.

المحور الثاني: الفاعلون الدينيون:

أولا : الفاعلون الرسميون (المؤسساتيون)

إمارة المؤمنين: حيث تم استعراض أهم الأنشطة التي أشرف عليها الملك بصفته أميرا للمؤمنين، مع التركيز على الأعمال ذات الإشعاع الإفريقي، بما في ذلك إحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: حيث تم الوقوف على أهم الأعمال التي قامت بها الوزارة، خاصة في مجال بناء وإصلاح المساجد، ومحو الأمية، والإشراف على التعليم العتيق، والعناية بالقيمين الدينيين وتقنين عملهم، وتكوين المرشدين والمرشدات...

المجلس العلمي الأعلى: حيث قامت الهيئة العلمية المكلفة بدراسة القوانين التنظيمية للبنوك التشاركية، كما عقد المجلس العلمي الأعلى خلال سنوات 2013 و2014 و2015 ست دورات.

الرابطة المحمدية للعلماء: وقد حافظت على تنظيم جموعها العامة لمجلسها الأكاديمي، وخلال السنوات الثلاث عرفت الرابطة نشاطا مكثفا من حيث تنظيم الأنشطة العلمية، أو الحضور فيها.

ثانيا: الفاعلون المدنيون:

العلماء والخطباء: حيث تم رصد مستوى حضور بعض العلماء غير المنضوين في إطار المجالس العلمية في مؤسسات وهيئات علمية عالمية مدنية، كما تم الوقوف على القضايا التي استرعت اهتمامهم، ومن ذلك التفاعل مع مختلف القضايا التي طرحتها بعض التيارات العلمانية؛ كإنكار عصمة الأنبياء، وموضوع الإرث، والإجهاض والدعوة إلى اعتماد الدارجة في التعليم...

الحركات الإسلامية: حيث تم الوقوف على أداء كل من حركة التوحيد والإصلاح وجماعة العدل والإحسان، والتيار السلفي والزوايا والطرق الصوفية.

المحور الثالث: تحديات التدين

عرض التقرير مجموعة من التحديات التي تواجه التدين في المغرب، ويمكن إجمالها في:

التحديات القيمية والأخلاقية:

ذكر التقرير أبرز ثمان مؤشرات التحدي القيمي والأخلاقي بالمغرب، وهي تحديات الرشوة والسيدا والشذوذ الجنسي والإتجار في البشر والجريمة بمختلف أصنافها، ثم تحدي الدعارة والخيانة الزوجية والقمار وتعاطي المخدرات، وهذا أنموذج لهذه المعطيات:

المخدرات: حافظ المغرب سنتي 2013 و2014 على المرتبة الأولى في تصدير القنب الهندي (الحشيش) إلى أوربا، وكشف التقرير عن تعاطي ما يزيد عن 26% من الشباب المغاربة للمخدرات بشكل منتظم، وأن 90% منهم تقل أعمارهم عن 25 سنة، حيث يرتفع منسوب التعاطي أكثر في المرحلة الجامعية.

ولا يخفى على ذي لب الدور الكبير الذي تؤديه المخدرات في ارتكاب الجرائم، حيث إن مدمنيها ارتكبوا 200 حالة قتل في الستة أشهر الأولى من سنة 2014 فقط، إضافة إلى أن حوالي 30% من حوادث السير تكون نتيجة تناول المخدرات.

التحدي التربوي والتعليمي:

وقف التقرير على عدد من المؤشرات التي تشكل تحديات للمدرسة ومحيطها ومنها العنف المدرسي، وانتشار المخدرات، والغش في الامتحانات، ومردودية التعليم وإشكالية الهدر وملاءمة التكوين لحاجيات الشغل وضعف الإبداع والابتكار.

التحدي الإعلامي:

وقد وقف التقرير عند الدور السلبي الذي يلعبه الإعلام في مختلف التحديات في مجال القيم، وعن مدى انخراط مختلف مكوناته في الدينامية الإصلاحية التي يشهدها المغرب.

كما عكس النقاش حول المسألة الإعلامية استمرار الإعلام التقليدي في لعب دور في مواكبة التأثير القيمي والثقافي رغم تزايد حضور الإعلام الإلكتروني. خاصة في القضايا السياسية والقيمية، وبروز مؤشرات تحوله إلى آلية مفصلية في الاستقطاب نحو التطرف والطائفية.

التحدي العقدي والطائفي (التنصير والتشيع)

تفيد المعطيات الرقمية تراجع التنصير نسبيا حيث تقلصت الخلايا والمجموعات المفككة، كما سجل التقرير غياب أي إطار رسمي أو مدني أو أكاديمي مهتم بالظاهرة، وغياب أي قاعدة معطيات عن جغرافية الامتداد التنصيري، ترصد خريطته وطريقة اشتغاله وكيفية التعامل مع ضحاياه والمواكبة العلمية لهم.

وتعزز التحدي الطائفي، بتأسيس جمعية تحت اسم «الرساليون التقدميون» وفي سنة 2015 تم إعلان «المرصد الرسالي لحقوق الإنسان». كما تميزت المرحلة بميل نشطاء «الخط الرسالي» إلى تبني خطابات الدفاع عن الحقوق والحريات، للضغط على الدولة للاعتراف بـ«كيان شيعي» بالمغرب، تحت ذريعة حرية المعتقد.

التحدي الصهيوني:

كشفت المؤشرات الرقمية عن تنامي الإعلان والإشهار للتطبيع ارتباطا بحساسية اللحظة السياسية التي يدبر فيها الإسلاميون الشأن العام، حيث يتم إظهار المغرب وكأنه أكثر تطبيعا مع الكيان الصهيوني، بغرض الإحراج السياسي للحزب الذي يقود الحكومة باعتباره الحزب الذي عرف دوما بمقاومته لكل مظاهر التطبيع مع الاحتلال الصهيوني.

المحور الرابع: تفاعلات الديني والاقتصادي والفكري

تعد المعاملات التشاركية وما يرتبط بها من تأمين تكافلي وصكوك وزكاة ووقف من أهم المواضيع التي هيمنت على النقاش والتشريع خلال فترة ما بين 2013-2015م، إضافة إلى زيادة الاهتمام ببعض القطاعات كالاتجار بالخمور والمخدرات، بموازاته تسارع الاهتمام بالمالية الإسلامية بالمغرب بالتركيز على المصادقة على القانون البنكي الجديد، وتزايد استعدادات البنوك المغربية لاستقبال هذه الطرق التمويلية الجديدة، من خلال عقد شراكات مع مؤسسات مالية دولية.

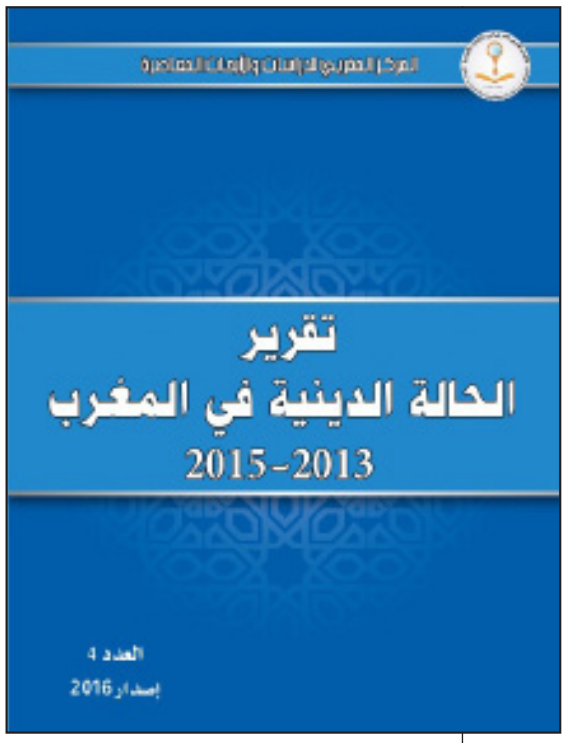

أما تفاعلات الديني والفكري، فقد شهد الفضاء العام خلال فترة (2013 – 2015م) تنامي النقاش العمومي حول عدد من القضايا الفكرية ذات العلاقة بالدين والهوية. ويكشف هذا من جهة شدة التدافع بين التيار العلماني والإسلامي. ومن جهة ثانية؛ يبرز حضور المعطى (الديني) في القضايا التي تعرف نقاشا مجتمعيا، وترتبط تلك القضايا أساسا بالهوية الإسلامية للمغرب بشكل عام، أو تستند في رؤيتها الفكرية على الخلفية الحقوقية بمرجعية كونية.

المحور الخامس: الحالة الدينية لليهود المغاربة

سعى التقرير إلى رصد بعض ملامح حياة اليهود المغاربة الدينية، وأهم احتفالاتهم ومواسمهم، وكذا علاقتهم بالحياة العامة للمغرب. وكذا الحركية الدينية والاجتماعية لليهود المغاربة، من خلال المظاهر الدينية والعامة وفق مؤشرات فترة 2013 – 2015.

وحسب التقرير العالمي للحريات الدينية 2015 فإن اليهود المغاربة يبلغ عددهم اليوم حوالي 4000 نسمة، ويعيش أغلبهم في مدينة الدار البيضاء (2500 نسمة)، وبضع عشرات في مدن: الرباط ومراكش وفاس يمارسون مختلف طقوسهم الدينية بكل حرية.

وفي تعاطي اليهود المغاربة مع الشأن العام نظمت الطائفة اليهودية بالمغرب مجموعة من الفاعليات، نذكر منها: افتتاح الكنيس اليهودي «صلاة الفاسيين» بعد ترميمه. وتأسيس جمعية تحت اسم: «جمعية أصدقاء متحف التراث اليهودي المغربي» وغيرها.

بالعموم فقد تميز هذا التقرير بمميزات خاصة تتمثل في تفرده على سابقيه في كونه يغطي ثلاث سنوات وليس سنتين فقط، بهدف الرغبة في تقليص الفجوة الزمنية بين المرحلة التي يغطيها التقرير وبين تاريخ إصداره. كما يتميز بطابع الاستقرار الذي طبع مختلف مؤشرات الحالة الدينية على امتداد السنوات الثلاث التي يغطيها.

إعداد: محمد معطلاوي

لماذا الحديث عن القيم في الدرجة الأولى؟

عند النظر في مكونات المجتمع المختلفة، وما يصدر عليه من ثقافات متنوعة ومختلفة، نعلم أن المكونات تنطلق من تصورات للقيم التي تؤمن بها، ومكونات المجتمع مختلفة طبعا مما يفسر اختلاف القيم عند كل اتجاه أو مكون، وإذا كانت هذه النظرة بمثابة مسلمة بديهية يعترف بها الجميع، فلماذا نلاحظ اختلاف القيم إلى درجة التضارب والتناقض بينها؟ هل الخلل في القيم السائدة التي نعيش في ظلالها؟ أم إن الخلل يعود إلى المنطلقات والمرجعيات المؤطرة لهذه القيم، والتي تفرز لنا من حين لآخر قيما جديدة تحت مسميات ومفاهيم براقة بدعوى مواكبة العصر والانفتاح على زمن العولمة المعاصرة.

إن مناقشة هذه الفكرة وغيرها يستحق منا أن نقف أولا عند إشكالية طرحها أحد المفكرين المعاصرين -وهو من رواد الثقافة الفرنسية- والمتمثلة في صعوبة الحسم في بيان القيم المهمة والتي يقبلها المجتمع، والقيم التي يرفضها، يقول: "يجب أن نعرف -بكل السبل- ما الذي نريد أن نحافظ عليه، وهذا هو مشكل القيم التي تهمنا، بالنسبة لي أعتبر أن القيم لا يمكن أن تكون إلا مطلقة؛ لأنها لو كانت نسبية لما كانت لها صبغة إجبارية، يجب أن نكون متفقين حول القيم التي يجب أن نحافظ عليها، والتي يجب أن نبني على أساسها الإنسان ومجتمع الغد، حسب اعتقادنا".

إننا نلاحظ أنه منذ أواخر القرن العشرين وقضية القيم كانت مطروحة للنقاش في الثقافة الفرنسية؛ بل وقبل ذلك بكثير؛ لأن إشكالية القيم هي قضية وجود الإنسان، ولقد ظلت مرتبطة به منذ وجوده على هذه الأرض، وفتح المجال للنقاش في الموضوع دليل على حركيته الثقافية ووعيه بخطورة الموضوع؛ بل إنه يدل على أن مكونات المجتمع المتعددة دخلت في أزمة القيم أو بدأت تستشعر ذلك، وهذا ما جعل الكاتب الفرنسي يطرح الموضوع بهذه الطريقة.

إننا بدورنا في المجتمع العربي نعيش مثل هذه الأزمة التي هزت القيم من مكانتها الطبيعية، وساهمت في خلخلة موازينها خاصة في زمن العولمة والانفتاح على الآخر وغياب الحدود والحواجز الثقافية، ومن تجليات ذلك؛ انحراف المجتمع عن وظائفه وملاحظة مظاهر التفكك بين أواصره، مما جعل التفكير بشكل منهجي من الواجبات حتى تتم إعادة النظر في القيم التي يجب الاتفاق حولها من غيرها، وهذا لا يكون إلا في ظل توحيد الرؤية التي نعالج بها موضوع القيم أو التأكيد على النظام المعرفي الذي يعتبر إطارا ومرجعا للإشكال الذي نعرضه اليوم.

إذن ما دام مفهوم الإنسانية يجمعنا، وموضوع القيم يؤطرنا، فإننا نحتاج إلى تبيين الإطار العام لهذه المنظومة، والتي من تجلياتها أن يؤدي المجتمع وظيفته بشكل سليم، وتكون حركية الناس الفردية والجماعية أكثر فعالية، ومعلوم أنه في هذا السياق العام تتبلور أهمية القيم؛ لأنها تساهم في التخفيف من المفارقات بين مكونات المجتمع وتلك التناقضات بين عناصره، سواء على المستوى السلوكي أو الثقافي عموما، كما تقوم بدور فعال في تشكيل الهوية الثقافية الموحدة في مكونات المجتمع، ولتفعيل هذه المعاني نركز على الخصائص المهمة لهذه المنظومة، وهي كما يلي:

1 - **إطلاقية القيم:** ومعنى ذلك أن أهم خاصية للقيم هي أنها قيم مطلقة تتجاوز حدود الزمان والمكان والإنسان؛ لأنها ملازمة للسلوك الإنساني بغض النظر عن معتقده أو لونه أو جنسه، وهي مؤطرة لأبعاده كلها، سواء في البعد البدني، أو البعد الديني، أو البعد العقلي، أو البعد الأخلاقي. ومسألة الإطلاق في القيم هي التي حصل فيها إشكال في الثقافة الغربية؛ لأن المرجع في تحديد القيم المشتركة يعود إلى اتفاق مكونات المجتمع وتواطئه على قيم معينة ورفض أخرى، وهذا المعنى سيؤدي منطقيا إلى نقض هذه الخاصية وهدمها؛ لأن المجتمع هو الوعاء الحاضن لتطبيقات القيم على مساحاته المختلفة والمتعددة المشارب، لا أنه المنتج لهذه القيم؟؟ فالمنهج العقلي لا يقبل أن يكون المجتمع هو الوعاء والمنتج في نفس الوقت إلا إذا كانت القيم تتميز بخاصية النسبية، وهنا سنكون أمام دلالات مخالفة تماما لما أشرت إليه قبل، أهمها الوقوع في خاصية التغير للقيم في مقابل دلالة الثبات، وطبعا هذا التصور له انعكاسات سلبية على مكونات المجتمع الواحد، من تجلياتها اختفاء مفهوم الالتزام بالقيم والخضوع لرياح التغيير التي تصيبها من حين لآخر، وهذا ما يجعلنا نعيش في ظل أزمة القيم فعلا.

2 - **خاصية المعيارية:** لا يمكننا أن نتحدث عن قيم مطلقة إلا إذا كانت معيارية، فهما خاصيتان متلازمتان، كل منهما يكمل الآخر ويفسره ويعطيه دلالات واضحة، خاصة في موضوع القيم، ومعنى كونها معيارية؛ أي تعتبر هي النموذج والمرجع المؤطر لمختلف السلوكات الثقافية التي قد تظهر في المجتمع من خلال سلوكات الأفراد والجماعات، وهي التي قد تتحول مع الزمن إلى عادات وأعراف إذا وجدت قبولا وتراضيا من الناس. وهنا نتساءل كيف تكون القيم معيارية وهي من إنتاج المجتمع؟ إن المحدد العقلي لا يمكن أن يقبل بهذا المعنى إلا على سبيل العبث، أو على سبيل تفتيت وحدته التي يعيش في ظلالها، والسعي وراء تفكيكه ثقافيا وقيميا كما هو حال المجتمع العربي عموما.

إن خاصية المعيارية لا يمكن الحديث عنها إلا في ظل الوحي الإلهي المتعالي عن المجتمع ومكوناته، والذي من مقاصده الرقي به نحو الأفضل، والسمو به نحو القيم التي جاء بها، وأعظمها تحقيق العبودية لله تعالى عوض ترسيخ القيم السائدة، والرضا بأمر الواقع المرير الذي نعيش فيه استجابة لعدد من الدعاوى والمبررات، وبكلمة أخرى لا يمكن الفصل بين القيم وبين مصدرية الدين لها؛ لأنه هو وحده -فقط- الذي يعطي لها معنى جماليا ويبعث في صاحبها طاقة روحية تجعله يحاول مهما اعترضته العوائق والابتلاءات أن يمارسها ويتشبث بها، بل وقبل ذلك كله أن يؤمن بصلاحيتها وصوابها المطلق الذي يعلو ويتجاوز النسبية التي تقوم عليها المجتمعات، وفي هذا السياق يقول أحد التربويين: "إن الإسلام يربط الأخلاق بالشرع، فالشرع هو الذي يحسن ويقبح.. وليست الأخلاق متروكة للإنسان ينظر فيها بعقله؛ لأنه فضلا عن كونه بطبيعة آفاقه المحدودة عاجز عن العثور على نسق شمولي يستجيب لحاجات الإنسان وتطلعاته الحضارية، فضلا عن ذلك، فإن نسقه ذاك حتى وإن كان فيه قدر من الصواب، فإنه يظل جسدا راكدا لا حياة فيه"، وحينما نشير إلى مصدرية الدين للقيم نكون فعلا أمام نسق متكامل، ونظام معرفي يستجيب لتطلعات الإنسان في ضوء ما أشرنا إليه من خاصيتي الإطلاق والمعيارية، فواضح جدا أن العقيدة هي الباعث على الإيمان بالفكرة، والدفاع عن المبدأ الذي يؤمن به الإنسان، ويلتزم من أجله بالقيم التي يدعو إليها ذاك المعتقد، وهذا لا يحتاج إلى بيان، سواء كانت تلك العقيدة صحيحة أو فاسدة.

3 - **الفطرية:** من معاني هذه الخاصية أن أصل القيم يرجع إلى الفطرة البشرية، فهي الجهاز الذي يستوعب القيم ويحتضنها، وبفضل ذلك تكون للإنسان القابلية لتطبيق تلك القيم التي يؤمن بها، وهنا طبعا نتحدث عن الفطرة السوية التي خلقها الله تعالى ووهبها لكل الناس، حيث لا يجد الإنسان أدنى تعارض بين قيم فطرته وبين ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ من مضامين الوحي الإلهي المتجلي في القرآن المجيد والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم: 30)، يقول الطاهر بن عاشور: "ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له، مثل إثبات الوحدانية لله؛ لأن الإيمان الصحيح لا يتعارض مع العقل والنظر الصريح، حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلقن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته".

إن هذه الآية تكشف بوضوح عن خاصية الفطرية الملازمة للقيم، وما على الإنسان إلا أن يكون متناسقا مع عقله وما تقبله فطرته السوية والسليمة، حتى وإن حصل في المجتمع ما حصل من تغير للقيم؛ لأن الله تعالى الذي خلق الإنسان بهذه الفطرة هو سبحانه الذي أنزل الوحي مشتملا على تصور شمولي عن الخلق والمصير، وما على الإنسان إلا أن يستجيب لمعطياته وأوامره ونواهيه، "وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله تعالى، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويعالج أمراضه ويقوم انحرافه. وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير. والفطرة ثابتة والدين ثابت: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾. فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لَمَ يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة. فطرة البشر وفطرة الوجود". وبهذا يتبين ذلك الترابط إلى درجة التلاحم بين الدين والفطرة، أو قل بين الدين والقيم الذي يستحيل أن يحصل معه انفصال إلا على سبيل الإنكار أو الجهالة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، فهم لا يعلمون حقيقة هذا الدين وما جاء به من خير للبشرية جميعا، ولا يعلمون حقيقة هذه الفطرة التي هي من صنع الله الحكيم، ولا يعلمون حقيقة التلاحم بين الدين والفطرة باعتبار مصدريتهما الربانية الواحدة. فالفطرة تعتبر بمثابة "الخزان أو الينبوع الذي يصدر عنه السلوك الإنساني، مدعوما في ذلك بضوابط الإرادة والحرية التي لا تتعارض في شيء مع الالتزام بضوابط الشرع".

وبالجملة لا يمكن الحديث عن الإنسان مجردا عن القيم التي تؤطره والتصور المعرفي الذي ينطلق منه، وعلى حسب مكونات هذا التصور تتبلور القيم التي يؤمن بها ويدافع عنها، وبذلك يقدم شخصيته للمجتمع، ونظرا للوضع الراهن الذي نحيى بين عتباته صار النموذج الإسلامي محتشما في الساحة إن لم نقل مختفيا، وما ذلك إلا بسبب التغير الطارئ على سلوكاتنا والثقافة السائدة المؤطرة له عموما، ومن ثم فإننا نعيش في ظل أزمة قيم حقيقية تحتاج إلى تضافر الجهود لإيجاد حلول عاجلة لها.

- عبد المجيد بن مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، ع 67، 1419، ص122.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج21، ص90
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط1412،17،ج 5، ص 2767.
- عبد المجيد بن مسعود، نفس المرجع، ص91.

محمد علواش

تأملات في سيرة سيدة نساء الإسلام في عصرنا:

عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

إن سيرة هذه السيدة العظيمة في آدميتها.. وشخصيتها.. وعبقريتها .. المتمثلة في أعمالها الجليلة، ومآثرها الجميلة؛ اقتضى مني -بلا تردد- تنويها خاصة بها، وتعريفا لازما عنها.

والداعي إلى هذا، هو أني وقعت على كتاب قيّم في إحدى مكتبات باريس، عنوانه "شخصيات ومواقف "للدكتور محمد سليم العوّا. في هذا الكتاب: دراسة هامة حول حياة الدكتورة اللامعة: عائشة عبد الرحمن، الشهيرة ب (بنت الشاطئ) في الأوساط العلمية، استمتعت كثيرا بقرائتها؛ لذلك سطرت "تأملاتي" في مسيرتها العلميّة، ومحطات أعمالها الحياتية، عسى أن ينتفع بمآثرها وآثارها كل المسلمين والمسلمات: الصغار والكبار على السواء.

وللتذكير، فإنه قد سبق لي - ولله الحمد - أن قدّمتها في أكثر من عمل لي: إعلاماً وتأليفاً.

● انتقلت عائشة عبد الرحمن إلى رحمة ربها الواسعة عصر يوم الثلاثاء 12 شعبان 1419هـ الموافق لغرة ديسمبر 1998م. لكن الملاحظ، كما يقول الكاتب الفاضل -وقد حضرها-: "حفّ بجثمانها - وهو يوارى التراب - نفر قليل من الرجال؛ وجلس خارج المقبرة عدد أقلّ من النساء.

ثم إن الكاتب - من خلال ما عاينه - يأسف على هذا التشييع الهزيل بحق هذه النابغة المشهورة؛ إلا أنه يعقب قائلا: "... لكن الفضاء كله كان مليئاً بأرواح علويّة طاهرة، تستقبل هذه الوافدة، من دار الفناء إلى دار البقاء...". وهو يعني بتلك "الأرواح": الملائكة الكرام.

● ظلّت عائشة عبد الرحمن تكتب على صفحات الجرائد والمجلات العربية مدة (اثنين وستين) عاماً، خصوصا في صحفية "الأهرام" القاهرية على وجه التحديد دونما انقطاع، أي: "منذ عام 1936م حتى يوم الخميس السابق لوفاتها". وهنا يعقب الكاتب الفاضل، إذ يقول: ".. فلعلها أطول مدة واظبت كاتبة على النشر في صحيفة يومية في العالم العربي". بل وأكثر من ذلك، فقد أشعرنا الكاتب الفاضل - بعد صفحة مما قاله عنها - إذ يضيف قائلاً: "جمع الأهرام حتى بداية التسعينيات مقالاتها في مجلدات ستة، كانت تضعها على رفّ بجوار مكتبها في بيتها".

● لعائشة عبد الرحمن (رحمها الله) قلم مدرار، إذ وصل عطاؤها الثّرّ من الكتب والرسائل: (تحقيقاً وتأليفاً) ما يفوق الأربعين؛ وهو رقم قياسي في حق من له أكثر من مجال علمي، وثقافي، ووظيفي، فضلا عن مشاركات مستمرّة في الندوات والملتقيات، فهو عبء ينوء بحمله العصبة أولو القوة، وهذا ما كانت عليه أو فيه عائشة عبد الرحمن.

"كانت بنت الشاطئ لأكثر من نصف قرن، حاملةً لواء الدفاع عن الدين، وعلومه، وأعلام علمائه، واللغة والعلم بها، والقرآن الكريم، وتفسيره وإعجازه، وعلوم السنة، حتى أصبحت لا يستغني عن علمها أحد من أقرانها، فضلا عمن دونها؛ وقدمت للمكتبة الإسلامية أكثر من أربعين كتابا"

وهنا نجد الكاتب الفاضل يصف لنا إبداعاتها بدقة وأمانة، كما يلي: "كانت بنت الشاطئ لأكثر من نصف قرن، حاملة لواء الدفاع عن الدين، وعلومه، وأعلام علمائه، واللغة والعلم بها، والقرآن الكريم، وتفسيره وإعجازه، وعلوم السنة، حتى أصبحت لا يستغني عن علمها أحد من أقرانها، فضلا عمن دونها؛ وقدمت للمكتبة الإسلامية أكثر من أربعين كتابا".

ثم يختم الكاتب الفاضل شهادته فيها بقوله: "فتركت بذلك تراثا هائلا، أفاد منه المسلمون ودارسو الثقافة العربية في الدنيا كلها، وأدّت بما قدمت الرسالة التي وهبت لها نفسها أحسن ما يكون الأداء".

●

تخصصت الدكتورة الغالية: عائشة عبد الرحمن (رحمها الله) في التراث الإسلامي: لغة وآدابها وشريعة، فهي في هذه الميادين المتعددة كما يقول الكاتب الفاضل: ".. مدرسة قائمة بذاتها في الدراسات: الإسلامية والعربية، وكانت تعد نفسها، ويعدّها العلماء العاملون، إحدى المرابطات على ثغر من ثغور الإسلام..".

بل ها هو الكاتب الفاضل، يشهد لها شهادة حقّ وصدق أكثر من تلك الأولى فيكتب عنها في مطلع الدراسة المطوّلة عنها، ما نصه: "أبلت في خدمة الدين، والقرآن والحديث، واللغة العربية، بلاء كتيبة كاملة من العلماء العاملين الصادقين؛ بل بلاء جيل بأسره، نهضت فيه - مع الأفذاذ النوابغ من أساطين العلم - بمهمة حراسة الملة الحنيفية السمحة".

● لكن، مع كل هذا الجَهْد العسير والجُهد المحموم، لم تنل هذه الباسلة حقّها كاملا غير منقوص، ولا حتى من العالم الإسلامي، فقد ظلت الأمل المرجو لها، أو في المكانة والطموح المتطابق مع ما قدمته بعد (نصف قرن) من العطاء المتواصل؛ وبالتالي فإنّ الكاتب الفاضل لم يهمل هذا الجانب المأساوي في مسيرة حياتها، وغزارة جهودها، فهو في هذا يلوم جاحدي فضلها، منكرا عليهم ما أصابها من الغبن، والبؤس، فيقول: "...عانت بين قومها من جحود علمي لم تذكره بحرف لأحد؛ ولكن أحسّ به وتألّم له تلامذتها، وأهل الوفاء من المتابعين لمسيرتها العلميّة والفكريّة".

ولم تعش بنت الشاطئ هذا الجحود العلمي وحده، وإنما عاشت جحودا إنسانيا أقسى منه وأشدّ، ورأت من نكران الجميل، حيث توقعت العرفان، ومن فقدان الوفاء، حيث انتظرته، ما تخرّ له الجبال الرواسي؛ ولكنها كانت تستصغر الدنيا كلها، فلم تبك على شيء منها قط..".

ويختم الدكتور محمد سليم العوّا أساه على غمط جيل هذا العصر "حق" هذه النابغة الفذة، ولو بمجرد "تكثيف" الحضور في تشييع جنازتها، فيقول في خاتمة دراسته عنها: "كنت أتوقع أن يكون في جنازتها ثم في سرادق عزائها الألوف من المسلمين والمئات من المفكرين والكتّاب والباحثين، ولكنها كانت - كالعهد بها - مترفعة عن الدنيا حتى في تشييع جنازتها، ولم يقف على قبرها عند دفنها إلا أولئك النفر اليسير، الذين أشرت إليهم".

فإنا لله وإنا إليه راجعون.. رحم الله عائشة عبد الرحمن رحمة الأبرار، وأسكنها جنات تجري من تحتها الأنهار. وجزى الله خيرا الدكتور العوّا على تقديره إياها، وتحسيسنا كلنا بشخصيتها، وعطائها، ومكانتها في أمة الإسلام؛ وصدق من قال: "امرأة كألف رجل".

لكن، مع كل هذا الجَهْد العسير والجُهد المحموم، لم تنل هذه الباسلة حقّها كاملا غير منقوص، ولا حتى من العالم الإسلامي، فقد ظلت الأمل المرجو لها، أو في المكانة والطموح المتطابق مع ما قدمته بعد (نصف قرن) من العطاء المتواصل

ذ. صالح العود - فرنسا

فلسطين بالأرقام.. منذ النكبة إلى الآن!

أعلن جهاز الإحصاء الفلسطيني، الأحد 15 مايو أن عدد الفلسطينيين تضاعف ما يقرب من 9 مرات منذ عام 1948.

وأضاف الجهاز في بيان له في الذكرى 68 للنكبة: "قدر عدد الفلسطينيين في العالم نهاية عام 2015 بحوالي 12.4 مليون نسمة وهذا يعني أن عددهم تضاعف 8.9 مرة منذ أحداث نكبة 1948"، موضحا أن عدد الفلسطينيين في العام 1948 كان 1.4 مليون نسمة وكانوا يقيمون في 1300 قرية ومدينة فلسطينية.

وقدر جهاز الإحصاء الفلسطيني "عدد السكان الفلسطينيين الذين لم يغادروا وطنهم عام 1948 بحوالي 154 ألفا في حين يقدر عددهم في الذكرى الـ 68 للنكبة بحوالي 1.5 مليون نسمة نهاية عام 2015".

وقال الجهاز في بيانه، إنه تم "تشريد نحو 800 ألف فلسطيني من قراهم ومدنهم إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة فضلا عن تهجير آلاف الفلسطينيين عن ديارهم رغم بقائهم داخل نطاق الأراضي التي أخضعت لسيطرة إسرائيل".

وأضاف الجهاز: "تشير البيانات الموثقة أن الإسرائيليين قد سيطروا خلال مرحلة النكبة على 774 قرية ومدينة حيث قاموا بتدمير 531 قرية ومدينة فلسطينية"

وقال: اقترفت القوات الإسرائيلية أكثر من 70 مذبحة ومجزرة بحق الفلسطينيين وأدت إلى استشهاد ما يزيد عن 15 ألف فلسطيني خلال فترة النكبة".

وتظهر الإحصائيات، أن "عدد الفلسطينيين المقيمين حاليا في فلسطين التاريخية (ما بين النهر والبحر) قد بلغ في نهاية عام 2015 حوالي 6.2 مليون نسمة".

ووفقا لـ "رويترز"، توقع جهاز الإحصاء، أن يبلغ عددهم "نحو 7.1 مليون وذلك بحلول نهاية عام 2020 وذلك فيما لو بقيت معدلات النمو السائدة حاليا (4.1 مولود).

وتوضح الإحصائيات، أن حوالي 28.7 % من اللاجئين يعيشون في 58 مخيما تتوزع بواقع 10 مخيمات في الأردن و9 مخيمات في سوريا و12 مخيما في لبنان و19 مخيما في الضفة الغربية و8 مخيمات في قطاع غزة".

مصطلحات نقدية إسلامية

ذ.محمد أبحير

إذا كان النقد -بصفة عامة- يحوي عنصرين متلازمين ومترابطين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما: المنهج والمصطلح؛ فإن النقد الإسلامي المعاصر لا يحيد عن هذه القاعدة؛ فإذا كانت قضية المنهج في هذا النقد لم تعرف خلاصها بعد، فإن قضية المصطلحات أيضا مازالت تتأرجح بين مرجعيتين متباينتين. لهذا فإن المصطلحات النقدية تمثل الوعاء التعبيري الذي تطرح من خلاله الفكرة، وبعد بلورتها وتمخضها تقذف إلى باحة النقد لتصول وتجول بين النصوص الإبداعية.

ولكي يطعم المصطلح جسد النقد الأدبي الإسلامي، يشترط في ذلك أن يكون: "البعد الإيماني والأجواء الحضارية العربية والإسلامية هي الدماء الجديدة النقية التي يجب أن تؤطر فلسفة المصطلح لحظة تشكيله، والدفع به إلى ساحة النقد الأدبي الإسلامي"(1) لذلك يجب مراعاة هذه الشروط واحترامها أثناء وضع المصطلح، أو تسمية مفهوم معين؛ لأنها مسألة تتعلق بكيان أمة وثوابتها الحضارية، فالمصطلح في هذه الحالة يمكن اعتباره مرآة عاكسة لهويتها وتميزها.

وهكذا، فإن قضية المصطلح في النقد الإسلامي المعاصر لم تحظ بعناية فائقة من لدن النقاد والباحثين، على الرغم من الدور الكبير الذي يؤديه المصطلح في تأمين دراسات نقدية جادة، تتيح لنا إبراز مضامين الأثر الإبداعي المكنونة والمشمولة بالنبض الإيماني والأجواء الربانية.

وإذا تنبأ الدكتور الشاهد البوشيخي باحتمال ظهور "علم المصطلح النقدي" "الذي يدرس الظاهرة الاصطلاحية بمسائلها ومشاكلها في مجال خاص، هو مجال النقد الأدبي"(2). فإننا بدورنا نتمنى ظهور ما يمكن أن نسميه بـ "علم المصطلح النقدي الإسلامي"، ومن أولوياته دراسة الظاهرة الاصطلاحية بكل مكوناتها داخل مجال غير المجال الأول، وهو: مجال النقد الأدبي الإسلامي المعاصر.

من مصطلحات النقد الإسلامية:

لا جدال في أن الأدب الإسلامي قد فرض نفسه على الساحة الأدبية إبداعا ونقدا؛ ففي ما يخص الإبداع، فقد طرق المبدعون الإسلاميون أبواب جميع الأجناس الأدبية من شعر ورواية وقصة ومسرحية وغير ذلك، مقابل ذلك سعى جمع من النقاد الإسلاميين إلى تذوق هذه النصوص الإبداعية من خلال تمريرها من مصفاة النقد: منهجا ومصطلحا.

فمن بين المصطلحات الموظفة في هذه الدراسات نجد: الرؤية الإسلامية وما يتفرع عنها ثم الواقعية الإسلامية والفردانية والتصادم وهلم جرا...

وفي ما يلي جرد ومساءلة لبعض هذه المصطلحات:

أولا: الرؤية الإسلامية:

وضع النقد الإسلامي هذا المصطلح كلبنة أساسية في العملية الإبداعية مراعيا في ذلك مصادر النقد الإسلامي، حيث إن هذا الأخير: "يصدر من خلال عقيدة لها تصورها الخاص للكون والحياة والإنسان، ولابد من انعكاس هذه الرؤية العقدية على العملية الإبداعية"(3).

ويقصد بهذا المصطلح داخل الفضاء النقدي الإسلامي، ما يصدر عن الأديب من مفاهيم وتصورات خلال تأمله للوجود وعلاقته بالعالم، وهذا سر شحنته الإيمانية؛ فالرؤية في عرف سعيد الوالي هي: الأساس الفكري لكل عمل أدبي.

ويتفرع عن هذا المصطلح -أي الرؤية الإسلامية- مصطلحات أخرى تتيح لنا إمكانية تذوق النصوص الإبداعية من عدة زوايا نلامس فيها قوة العقيدة ورقي الأخلاق، والتصدي للأحداث اليومية وانشغالات الأمة... ومن هذه المصطلحات:

1 - الرؤية الروحية:

تهتم بالوسائل الموصلة إلى الحقيقة الإلهية الكبرى وهي التأمل في مسائل الغيب والمآل الذي ينتظر الإنسان. إضافة إلى الكشف عن حقائق النفس بميولها المادية واستشرافاتها الروحية رغبة في التوبة والتجرد من أوزار الدنيا، كل هذا يكشف لنا عن طبيعة عقيدة الأديب شاعرا كان أم ناثرا.

2 - الرؤية الكونية:

وتعني العمل على تقديم رؤية المبدع كما تتجلى من خلال التصور الإسلامي للكون الذي يدعو إلى التأمل والتفكر في مخلوقات الله ﷻ واستخلاص العبرة منها.

3 - الرؤية الاجتماعية:

وضع النقد الإسلامي هذا المصطلح كلبنة أساسية في العملية الإبداعية مراعيا في ذلك مصادر النقد الإسلامي، حيث إن هذا الأخير: "يصدر من خلال عقيدة لها تصورها الخاص للكون والحياة والإنسان، ولابد من انعكاس هذه الرؤية العقدية على العملية الإبداعية".

تبحث في: "موقع العدالة الاجتماعية، وموازين الأخلاق في المجتمع الإنساني وموقع القيم الإسلامية سواء بالنسبة للرجل أو المرأة"(4).

4 - الرؤية السياسية:

وفيها نوضح موقف المبدع من بعض القضايا السياسية، وإلى أي حد تتوافق مع المعطيات الإسلامية من جهة، وكذا توافقها مع المعطيات التراثية والإنسانية من جهة أخرى، مثل الحرية والوحدة والسلام وغيرها.

5 - الرؤية الفنية:

مجالها العناصر الفنية كالصورة والموسيقى، كما أن "الرؤية في النقد الإسلامي تكشف عنها لغة جمالية تهدف إلى إثارة وجدان المتلقي وتحريك ذوقه وشعوره"(5). وإذا كانت الرؤية هي: "الموقف الفكري للأديب إزاء الحياة والكون والإنسان، فإن الجمالية هي الركن والأداة الفنية التي يعتمدها الأديب في التعبير عن هذه الرؤية"(6).

لكن الجمالية في المجال النظري للنقد الإسلامي، لا يقصد بها البعد الفني لذاته، وإنما ترتبط بالحقيقة وتهتدي إلى الفضيلة. وهناك مصطلح آخر يؤدي هذه الوظيفة وهو مصطلح: "الإسلامية" الذي جاء ردا ضد التيار القائل بفنية الفن لا بإسلاميته "فالإسلامية، ترفع الإنسان وتسمو به أخلاقيا وعمليا، عقلا وروحا، وتزرع فيه حب الإنسانية بصفة عامة، مع تكسير قيود الزمان والمكان والحواجز الوطنية"(7). وهكذا فالإسلامية تتجاوز النزاعات الضيقة إلى آفاق أكثر اتساعا ورحابة.

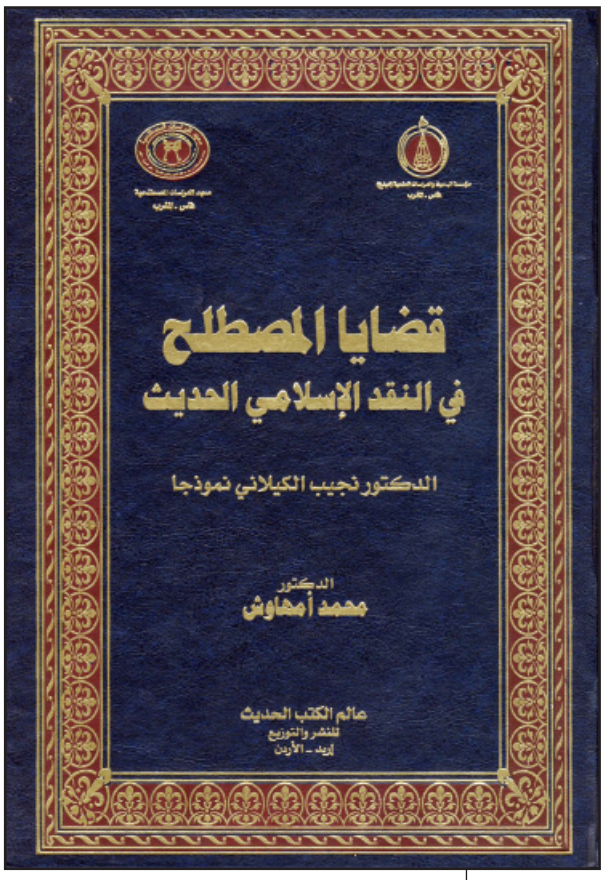

ويوظف الدكتور سعيد الغزاوي أثناء تحليله لبعض روايات الكيلاني العديد من المصطلحات، مبينا أنها مستمدة من القرآن الكريم ومن بعض الدعاة والمفكرين والنقاد الإسلاميين (8) ويمكن بيانها كما يأتي:

- **التساكن:** ينطلق الدكتور الغزاوي في تعريفه لهذا المصطلح من مجموعة من الآيات القرآنية، مثل قول تعالى في سورة الحجرات: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(9). فالغاية التي خلق الإنسان من أجلها، إلى جانب العبادة هي السعي إلى التعارف بين البشر، حيث يدعو الغزاوي إلى استثمار دعوة الله ﷻ إلى التساكن وتوسيع مجالها لتشمل الجماعات والمجتمعات مصداقا لقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(10).

- **التجاور:** وهو مصطلح مستمد من القرآن الكريم أيضا، إضافة إلى أنه يعمل على فتح "الأعين أمام آيات الله في الكون، التي تظهر متنافرة للعين الحسيرة، ومتجاورة متساكنة للعين المؤمنة"(11). مصداقا لقوله تقدست أسماؤه: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد﴾(12).

إضافة إلى هذين المصطلحين يوظف الغزاوي مصطلحين آخرين مناقضين لهما، وهما: الفردانية والتصادم؛ فإذا عكس كل من التساكن والتجاور الصورة المثلى للمجتمع الإسلامي، فإن الفردانية والتصادم يعكسان انصرام وشائج الأخوة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وعلاقة هذا الأخير بالكون والخالق من المنظومة الغربية؛ حيث يعيش "البطل المتفرد الساخط المتمرد"(13)، في سراديب الغربة والعزلة "متنكرا للقيم السائدة، ومحاولا التغيير فردا أو مستسلما لقدره ومصيره أو واضعا حدا لحياته"(14).

ثانيا: الواقعية الإسلامية: تعتبر من بين مميزات الأدب الإسلامي، كما أنها: "خصيصة من خصائص الإسلام: في تصوره، في تشريعه، في نظرته للإنسان والحياة"(15). ومن انشغالاتها تتبع القضايا الاجتماعية لسواد الأمة؛ مثل: الظلم والقهر والاضطهاد وسلب الحقوق... إلى غير ذلك.

وعلى الرغم من انتقاد الواقعية الإسلامية للواقع، فإنها "تنطلق في انتقادها من التصور الإسلامي الذي يكون دائما منصفا فلا يبالغ ولا يهول، أيضا لا يتحامل بسبب المغايرة في الانتماء"(16). كما أن الأمل الذي يتطلع إليه جموع المستضعفين في الوطن هو: "أمل إيماني يقوم على أساس نصرة الله في كل الأحوال حياة وموتا"(17).

ثالثا: الالتزام: يحكي التاريخ أن الأدب الإسلامي مارس الالتزام منذ نشأته الأولى أيام الدعوة الإسلامية من خلال ممارسات الشعراء الإبداعية، كما أن الالتزام عبارة عن التفاف للنفس والفكر حول التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان من جهة، ومن جهة أخرى فإن التزام الأديب: "محكوم بمبدأ المسؤولية تجاه الفرد والمجتمع والمعتقد، وعلى هذا فسوف يسأل عن أدبه ماذا عمل به"(18).

والأمر في خلاصته، يلاحظ انطلاق المصطلحات السالفة الذكر من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، فلكي يشتغل أي مصطلح داخل الفضاء النقدي الإسلامي، لا بد من أن ينهل من هذا المعين ويهتدي بهديه، وأن يذود عنه وإلا فلا خير فيه.

---

1 – قراءة في المصطلح النقدي، سعيد الوالي، الأدب الإسلامي، العدد: 15، المجلد: 4، محرم، صفر، ربيع الأول 1418 هـ/ ماي، يونيو، يوليوز 1997م، ص: 89.
2 – مصطلحات النقد العربي، ص: 58
3 – قراءة في المصطلح النقدي، ص: 89.
4 – الرؤية الإسلامية في شعر محمود حسن إسماعيل، أمال لواتي، المشكاة، المجلد: 7، العدد: 25، 1417 هـ/ 1997م، ص: 56.
5 – قراءة في المصطلح النقدي، ص: 90.
6 – نفسه، ص: 90.
7 – القصيدة الإسلامية المعاصرة في المغرب، حمداوي جميل، الأدب الإسلامي، العدد: 22، المجلد: 6،1420هـ، ص: 78.
8 – مقالات في النقد الإسلامي، ص: 106.
9 – سورة الحجرات، الآية: 13.
10 – سورة الروم، الآية: 20.
11 – مقالات في النقد الإسلامي، ص: 107.
12 – سورة الرعد، الآية: 4.
13 – مقالات في النقد الإسلامي، ص: 108.
14 – نفسه، ص: 108.
15 – في مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه، محمد مراح، العالم، السنة: 6، العدد: 296، السبت 14 تشرين الأول (أكتوبر)/ 13 ربيع الأول 1410 هـ، ص: 51.
16 – الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د حلمي محمد القاعود، الفيصل، العدد: 221، السنة: 19، ذو القعدة 1415 هـ/ أبريل 1995م، ص: 116.
17 – نفسه، ص: 116.
18 – في مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه، ص: 51.

مهانة احتناك

دة. رجاء عبيد

1 - سبيل وسبل:

لن يُفَكَّ وثاق أسر الشيطان إلا بالسير في سبيل واحد مستقيم احترازا من سبل تتفرق بك، فالبون بين واحدية الحق، وتعدد صور الضلال شاسع، وحليفك وناصرك وجِّهَكَ إلى سبيل الخلاص، فقال سبحانه: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾، وقد شرح لنا الرسول ﷺ هذه الآية؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: "خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله، وقال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، وقرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾". (الآية).

في هذا تصوير بليغ منه عليه السلام لجزاء الرضى بذل الاحتناك الذي مؤداه الإعراض عن سبيل الله إلى سبل الشيطان، وما في جسارة الإعراض من هجر الأبعاد ومن ذل الهجر والخذلان، وإلا فالخلاص الاستعاضة عن ذلك بالسبيل الواحد صراط الله المستقيم الذي لا تزيغ بسالكه الأسباب.

فسبل الشيطان حُفَّت جنباتها بصوارف الغواية والإغراء ونوازع الأهواء، وألبست لبوس الحق تمويها وتضليلا؛ فانطلت حيل الزيف على خلق كثير، ووسمت الأشياء بغير مسمياتها، فسمي المنكر معروفاً، وسمي المعروف منكراً، واختلت موازيين الحق في عالم موار سخر فيه الشيطان من البشرية في سنيها الخداعات، فوقف على قارعة سبله ملوحا بخمائل غوايته يلبسها كل من فتنهم بألوانها ووقع في قلبهم حب مواجيدها دعة وكسلا؛ ليصدق عليهم قسمه. ولم يسلم من شرك كيده المؤمنون فقد قعد لهم على ناصية الصراط المستقيم، يأتيهم من كل جانب يدحرهم عنه دحورا، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 16-17).

لهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي، وآمن روعتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي».

فعلى سالك طريق الحق أن يتحصن بحصن الله المنيع، وأن يعلم أن إبليس وجنده لا سلطان لهم على الخلق، وأن كيدهم ضعيف، وإنما أجري الأذى على أيديهم -كما قال ابن عطاء الله السكندري- "كيلا تكون ساكنا إليهم فتفر إليه عندما أمرك بالفرار" قال تعالى: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾.

1 - نسف البدايات:

يقعد الشيطان للمؤمنين في طريق البدايات، لعلمه أن البدايات القوية فيها بركة الاستمرار والنجاح، فيعزم على نسف جدِّ المؤمن واجتهاده إذا لم يتحصن بأسلحة الدعاء والافتقار، فيبيّت له الكيد أعمالا وعزائم. فعنْ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ». فيعقد على القافية وهي مؤخرة الرأس، ويضرب بيده على العقدة تأكيدا وإحكاما لها قائلا: "عليك ليل طويل فارقد". فتبيت الأخشاب الصريعة بعدما هجرتها الأرواح خامدة الأنفاس غارقة في نتن الصلصال المسنون، يشدها رقود بليد يستكين إلى خمول التراب؛ تغط في سبات مثقلة بأدران الخطايا سقاؤها: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه». فتكون البداية هزيمة نكراء، وخنق للأنفاس عن شهود طلائع البكور، ودنس يصيب بالصمم آذانا لا ينفذ إليها الحق ولا يصل إلى قلب زج به في غياهب السبات.

فمن لم يحرص على شرف ونور البدايات أصابه احتناك إبليس في مقتل، ولم تكن له معارج على براق الشوق، وضلت قوافل عزمه الطريق.

وباب الوصول الخفي إلى نور البداية والهبة القوية بتجلياتها وأذواقها بعقد أحسن العزم قبل النوم، وختم اليوم بذكر الله، ثم الْحَثّ عَلَى الذكر عند الاستيقاظ، والتحريض على الوضوء حينئذ وَعلى الصلاة.

1 - وقاء ووجاء:

يلزم هذه المعركة المستمرة ببقاء روح ابن آدم في جسده وقاء ووجاء من شرها أوله التسلح بالحيطة والحذر من مهانة الخسران المبين، فالعدو ماكر خبيث حريص على إضلال بني آدم، هدفه نكس القلب والقضاء على جنوده ثم الطبع عليه بختم الإبعاد، وقد ذكر ابن الجوزي ذلك الصراع قائلا: "واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثلم، وساكنه العقل، والملائكة تتردد على ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض فيه الهوى، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وألا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو لا يفتر".

ومع الحيطة يلزم التسلح بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ علماً وعملاً، فهما أعظم سبيل للحماية من الشيطان وإغاظته أعظم إغاظة، يقول ابن القيم: "الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكل منهم ينال بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل".

والاشتغال بالذكر من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان، وفي الحديث: «أن الله أمر نبي الله يحيى أن يأمر بني إسرائيل بخمس خصال، ومنها: "وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى إلى حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله".

كذلك الجد في القربات والطاعات، فقد جاء في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما فرضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»، فيكون معه الله تعالى في كل خطواته وهمساته وسكناته، ومن كان الله معه لم يهنه إبليس بحنكه.

وقت المرأة

جرت العادة في أكثر بلادنا العربية: أن تخصص المرأة فترةَ بعد العصر لاستقبال صديقاتها، أو زيارتهن على اختلاف في طريقة الزيارة أهي دورية منظمة أم عفوية؟ وأياً كانت الحال لا يخلو البيت يومها من إعلان حالة طوارئ فيها. فاستعدادات فوق العادة، تستنزف الجهد، وتضيع الوقت، وتبعثر المال. وتحول يوم الاستقبال إلى مباراة بين الأسر فيما يقدم للضيوف، وفي إبراز مظهر البيت ولباس أهله.

ولو سئلت غالبية النساء عن الهدف من هذه الزيارة؟ لكان أحسن ما يفصحن به: إنه التلاقي لقتل الوقت والتسلية ودفع السأم والملل عنهن.

ولا أدري هل الوقت إلا عمر الإنسان الذي يسأل عنه؟ ومتى السؤال؟ إنه يوم الفزع الأكبر.. ومن السائل؟ إنه رب العالمين.

ومن أضاع وقته فقد أضاع جزءاً لا يعوض من حياته، وجديرٌ أن تطول عليه حسرته.

أختاه، أنت مربية الأجيال، وممولة للمجتمع المسلم ببناته من نساء ورجال، إن واجبي وواجبك التربية الرشيدة لأبنائنا، وإعدادهم إعداداً إسلامياً يجعلهم قادرين على حمل الأمانة والنهوض بالأمة وبناء المجتمع الفاضل المنشود. وإن كان ابن الجوزي قد عجب من أهل زمانه وإضاعتهم للوقت فقال: "رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً، وإن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر، وإن طال النهار فبالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق نشبههم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة".

فماذا نقول نحن عن الناس في زماننا؟! وقد أصبح العبث الفارغ أساس حياة أكثرهم، والتبرم بالحياة سبباً في أمراض نفسية غريبة، وصار الضيق والهلع من المجهول شبحاً يطارد ضعاف النفوس والإيمان؟!

إن أساليبهم في اللهو وإضاعة الأوقات تفوق الخيال: فبعد السهر والسحر على شتى البرامج في وسائل اللهو الحديثة المحرمة والمباحة، النوم حتى الضحى، واللهاث بقية النهار للدنيا فقط، وفي أعمال الدنيا. وكثرة النوم والتناوم هو شأن الخاملين اللاهين. أما الجادون: فيحرصون على أوقاتهم حرصٍ الشحيح على ماله أو أشد حرصاً، حقا "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (رواه البخاري).

عن موقع طريق الإسلام

● الداعية: خولة عبد القادر درويش

وميضة

عرْس..!

تقاطرت المدعوات.. أخذت فرقة نسائية للمديح والسماع مكانها.. أمسكت المغنيات دفوفهن استعدادا لبدء حفل الزفاف... تقدمت أمامهن امرأة لتلقي كلمة..

صالت وجالت.. تحدثت عن الصلاة والمنكرات معتبرة أن تبرج النساء في حفل خاص بهن منكرا كبيرا .. خلطت بين الآيات والأحاديث.. أخطأت كثيرا.. لم تدع فرصة للتصحيح لها...

استأذنت رئيسة الفرقة الغنائية في بدء وصلة غنائية.. وقفت "الواعظة" لها بالمرصاد ... قالت لها: "هذه كلها بدع" !

أقبلت العروس .. زغردت النساء .. انهالت عليهن المرأة بوابل من الوعيد .. التفتت نحو "النكافة" تكيل لها الوعيد...

شرعت فرقة المديح بأغنية في مدح الرسول ﷺ والدعاء للعروس ... وقفت المرأة محتجة.. تدخلت ثانية.. تحدثت عن عذاب القبر ونار جهنم... بكت الحاضرات .. بكت العروس...

حاولت الفرقة مواصلة الغناء... لكنها تصدت لها ... تدخلت أخوات العريس ... صرخت المرأة: "أنا خير منكن جميعا.. تقلن إنني أمية .. لكنني أفهم الدين أحسن منكن، وأحفظ كل الدروس المسجلة في الأشرطة..!"

توجهت نحو العروس.. خلعت لها التاج وكل الحلي.. مسحت لها وجهها.. لفتها في منديل كبير أبيض.. وقالت لها: "كل هذا بدع!"... انهارت العروس تماما ...

تدخلت مدعوات.. سحبن المرأة بلطف بعيدا وهن يهمسن في أذنها.. وحين أخرجنها.. أمرت إحداهن ابنها أن يوصلها إلى بيتها...

أخذت أم العروس مكبر الصوت.. رحبت بالمدعوات معتذرة لهن .. أعادت "النكافة" العروس في أبهى حلة... واستؤنف الحفل...!

بقلم:

ذة. نبيلة عزوزي

خروق في سفينة المجتمع

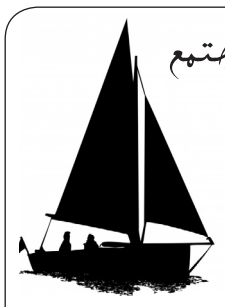

د. عبد المجيد بنمسعود

74 – خرق الاستهانة والتهوين

أن تهون من الشيء أو تستهين به معناه أن تستخف به وتعتبره هينا، كأن تستهين بقوة خصمك، أو تستهين بشيء من الأشياء نتيجة سوء تقدير لحقيقته وحجمه، أو عدم إدراكك لكامل الأبعاد والعناصر التي تدخل في قوام تلك الحقيقة. وينتج عن ذلك التهوين أو الاستهانة تصرف مغلوط تجاه ذلك الشيء، أو تعامل محفوف بالأخطار والمفاجآت السيئة التي تتناسب في سوئها وإذايتها مع درجة سوء التقدير ذاك، ودرجة البعد أو العجز عن تصور حقيقة الشيء الذي وقع عليه فعل الاستهانة أو التهوين.

وإذا نحن استقرينا نمط حياتنا وأسلوب نظرنا للأشياء وتقديرنا للأمور، فإننا نخلص لا محالة إلى أن نزعة الاستهانة والتهوين تمثل الطابع الغالب على ذلك الأسلوب، وأن تلك النزعة تكمن وراء كثير من المحن والبلايا، والكوارث والأزمات التي تحدق بمجتمعنا وتهدد سفينتنا بأعتى العواصف والأعاصير.

وإن هذا الأسلوب السقيم وغير السوي ليتمظهر في تعابير شتى: لفظية وعملية تكتسي طابع السلوك الثقافي الذي يتغلغل في الهيئة الاجتماعية والنفسية ويأخذ بتلابيبها، حتى يصبح سلوكا طبيعيا في أعين الفئات الواسعة التي تمارسه وتصرف به شؤون حياتها، وتعالج به معظم قضاياها ومشكلاتها.

وكمثال من التعابير اللفظية عبارة «ماعليهش» الدارجة التي تقابلها العبارة الفصيحة: «لا عليه» أو «لا علينا»، أو عبارة: «ما يهمش» ، أو «سلك عليا». أما التعابير العملية فهي كل ما يعزز التعابير اللفظية من مواقف مداهنة، وردود أفعال سلبية، تتمثل في إقرار ممارسات اجتماعية غير سوية، لما تكتسيه من طابع الهدم أو التخاذل، أو الاستقالة، أو تزكية الذات بالتقليل من عيوبها وثغراتها، أو تعطيل طاقاتها، أو تزييف حقيقتها بإظهارها على غير ما هي عليه، بما يؤول إلى عملية زور سافرة تؤدي حتما إلى فساد الأوضاع، وتفاقم الأعطاب والمشكلات.

ومما لا شك فيه أن التقليل من شأن الاختلالات والإعراض عن معالجتها بمجرد ظهورها، مما يؤدي إلى اتساع الخرق حتى يصبح رتقه في مستوى معين متعذرا بل مستحيلا، وتلك سنة من سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتخلف.

ولعل الأدب القصصي مما يتولى بيان هذه السنة أو هذه القاعدة الذهبية في صور بليغة من البيان والإيحاء، من شأنها أن تكشف مخاطر مشاكستها أو تجاهلها، ومن ذلك ما تمثله قصة أو حكاية لأحد كبار الكتاب الأفارقة المرموقين: أمادو همباطي با، تحت عنوان: «صراع العضاءتين أو لا وجود لخصومة صغيرة» (ضمن كتاب: لا وجود لخصومات صغيرة» (حكايات جديدة من السافانا). ومضمونها أن أحد الأشخاص الذي كانت تعيش معه أمه المريضة في كوخ من الأكواخ، اضطر إلى مغادرتها والغياب عنها لبضعة أيام من أجل أداء واجب العزاء في عجوز حكيم توفي في قرية بعيدة، وأوصى ذلك الشخص قبل مغادرته مجموعة من الحيوانات (كلب وديك وتيس وفرس وثور) بأن يحفظوا أمن الكوخ، وأن يقوم كل منهم بالدور الموكول إليه، فكان أن قام الكلب بدوره كاملا في حراسة المنزل من الخارج كما أمره سيده، بينما تخاذل الباقون، ولم يستجيبوا لما طلب منهم الكلب، وذلك أنه لما «سمع الكلب جلبة بدا أنها قادمة من كوخ الأم العجوز التي كانت مستلقية على سريرها وكان إلى جانبها مصباح زيتي يحترق فتيله بهدوء»، توجس خيفة وأمر الديك أن يستطلع الأمر ويبادر إلى حل المشكل، فما كان منه إلا أن أجاب باستخفاف، بأن الأمر يتعلق فقط بعظاءتين عالقتين في السقف تتقاتلان وتتنازعان جثة ذبابة ميتة»، فلم يحرك ساكنا رغم إلحاح الكلب وتحذيره مما يمكن أن تحدثه الجلبة الناتجة عن خصومة العظاءتين من إزعاج وقلق للأم المريضة، ونفس الموقف تكرر من باقي الحيوانات التي ترجاها الكلب واحدا واحدا من أجل حل المشكلة، وكان يقول لكل واحد وهو يخاطبه: «وأنت تعلم بأنه ليس ثمة مشاجرات صغيرة» وكان كل واحد من تلك الحيوانات يرد في عناد على رجاء الكلب: «اذهب أنت إذن للفصل بينهما» وكان الكلب يرد قائلا: «لا أستطيع، لقد أمرني السيد بأن لا أغادر هذا المكان».

وكانت نتيجة الموقف، أن سقطت العظاءتان من فرط الخصومة والتشابك على المصباح الزيتي الذي خرج فتيله، فنشبت النار جراء ذلك في الناموسية وامتدت إلى الأم المريضة المسكينة التي أصيبت بحروق بالغة، اقتضى علاجها كما رأى مطبب القرية أن تدهن بدم دجاجة، بعد أن تتلى عليه كلمات الطبيب الطقوسية، وأن تشرب المريضة من حساء يصنع من لحمها، فما كان من الديك المقبوض عليه وهو يمر على الكلب إلا أن قال معترفا بمرارة: «آه أيها الكلب، لو كنت فقط اهتممت بصراع العضاءتين، ها أنذا سأفقد حياتي بسبب عدم اهتمامي».

وكان المصير المفجع من نصيب الحيوانات الأخرى، كل بما يناسب وظيفته وطبيعته، وفي كل مرة كان تعقيب الكلب يحمل معنى الأسف والإشفاق لذلك المصير، ولكن مع تحميل كل منهم جريرة عمله وثمرة صنيعه. وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 165).

د: عبد القادر لوكيلي

حلب تحترق...

مجرد رأي

أهم شيء يبقى عالقا في الأذهان بعد أي اعتداء أو عدوان ليس تشفي الأعداء وأقوالهم؛ وإنما صمت الأصدقاء وخذلانهم... فلهذا الصمت وقع أشد مضاضة على النفس من العدوان نفسه. وهذا بالضبط ما باتت الأمة تعاني منه بعد كل عدوان حتى صار الأمر لدينا عاديا وطبيعيا من كثرة وروده... فبالتكرار تتبلد الأفكار وحتى الأحاسيس... وما يقع ويقع يوميا من مجازر يشيب لهولها الولدان في حلب أجمل مدن بلاد الشام، ذات العبق التاريخي الزاخر بالبطولات والملاحم العظام... حلب اليوم تدك على رؤوس أهلها الطيبين بواسطة البراميل المتفجرة التي ابتدعها نظام بشار الأسد المجرم السفاح الذي تخلى عن دراسة طب العيون ليفقأ عيون الأطفال والنساء والشيوخ الركع في بلاد الشام الحبيبة... يقع ذلك بالدعم الروسي، والتواطؤ الأمريكي، والسلاح المصري، والدعم الإيراني الخبيث، والصمت العربي والدولي المريب... يقع ذلك أمام مسمع ومرأى منظمات حقوق الإنسان التي صدعت رؤوسنا بدروسها وتنظيراتها عن حقوق الإنسان وصيانة كرامته، وهلم هرتقة وكلام فارغ... تذكرنا مجزرة حلب بمجازر التتار والمغول في بلاد الشام وبلاد الرافضين منذ مئات السنين، وكأن «هولاكو» و«تيمور لانك» لم يموتا بعد كل هذه السنين، وكأن نفس القبائل العربية المجاورة واقفة على الحياد تتفرج على المجازر، ويتواطأ بعض حكامها مع القتلة ويمدونهم بالسلاح والطعام... وكأن أحفاد ابن «العلقمي» قد بعثوا من رماد الخيانة والغدر مرة أخرى... وكذب من قال أن التاريخ لا يعيد نفسه... الفرق الوحيد بين الأمس واليوم أن «هولاكو» التتار كان يذبح المسلمين بيديه أما «هولاكو» سوريا فهو أجبن وأحقر من أن يقود الجريمة بيديه المرتجفتين، وإنما يوكل من يقوم بذلك نيابة عنه خيانة للأمانة ورهنا لمستقبل الأمة وأهل السنة، خاصة تطبيقا لخارطة الطريق المتفق عليها بين أمريكا وروسيا، ولذلك تم استثناء حلب من الهدنة التي توصلوا إليها مؤخرا حتى يستفردوا بأهلها ويمعنوا فيهم ذبحا وتقتيلا واغتصابا تحت مظلة الأمم المتحدة التي أصبحت، بل كانت دائما ومنذ تأسيسها أداة بأيدي قوى الاستكبار يحركونها كما شاءوا وأنى شاءوا؛ من أجل إخماد أي جذوة أمل قد تعيد هذه الأمة إلى سالف مجدها وعزتها... مخطئ كل من يظن أن ما يقع هذه الأيام من مجازر في حلب قرار فردي؛ بل هو جريمة دولية متكاملة العناصر، مخطط لها بعناية لانتزاع آخر معاقل استعادة الحرية، واستقلال القرار في الوطن العربي والإسلامي.. فالله نسأل أن يحفظ أهلنا وأبناءنا في حلب وفي غير حلب، وأن يهلك أعداء الأمة وكل من يتربص بها الدوائر، فاللهم اجعل كيدهم في نحورهم، وتدميرهم في تدبيرهم... ومن أعان ظالما سلطه الله عليه، وغدا لناظره قريب... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بنبض القلب

العربية: لغة القلوب (3)

د: أحمد الأشهب

في الحلقة السابقة ذكرنا أن معجزة هذه الأمة كانت في كتابها المبين، وأن القرآن الكريم جاء إعجازا بيانيا وعلميا وعقديا تحدى عقلية العرب، إلا أنه في نفس الوقت ارتقى بمستوى اللغة العربية من لغة القبيلة إلى مستوى العالمية، مما جعلها تنفتح على آفاق لم يسبق لها أن لامستها من قبل، فالشاعر الذي كان هو ترجمان القبيلة والعشيرة، «لم تعد تحضنه هذه القبيلة على حد تعبير الدكتور محمد إقبال عرويؒ بل أصبح يحضنه الإسلام كعقيدة، ولم يعد متدثرا برداء العصبية الضيقة بل أصبح متدثرا ببردة النبي ﷺ»... إن علاقة المؤمن مع القرآن الكريم يجب أن تنسجها هذه اللغة المحتضنة لوحي الله ﷻ، والتي بالتمكن من دقائقها ومعانيها تجعلك تنتقل من قارئ عاد لكتاب الله، إلى قارئ متدبر يستشف بعقله وقلبه مراد الله ﷻ وحكمته من وراء كل آية، بل وكل كلمة، إن المجال لا يتسع لجرد الآيات التي تنضح بقوة البيان الرباني، ونكتفي بقوله تعالى: ﴿**نساؤكم حرث لكم، فاتوا حرثكم أنى شئتم**﴾(البقرة:223)، هذه الآية الكريمة هي حد فاصل بين نداء الفطرة ونداء الشهوة، فالعلمانيون الذين لا يحكمهم دين، وبعض الشيعة الذين انفلت منهم ميزان الشرع؛ فسروا الآية الكريمة بأن حدود العلاقة الزوجية ليست لها أية ضوابط أو قيود، وأنه يمكن استمتاع الأزواج بحليلاتهم كيفما شاؤوا لقوله تعالى: ﴿**فاتوا حرثكم أنى شئتم**﴾ وهنا يبرز الجهل باللغة قبل الشرع، إذ أن الله سبحانه وتعالى قيد العلاقة بكملة «حرث» والحرث لا يكون إلا حيث ينبت الزرع، وقياسا على ذلك فإن الوطء لا يكون إلا من مكان إنبات الولد، وهذا ما ذهب إليه معظم المفسرين...

من خلال هذا المثال يتبين لنا قيمة اللغة في التعبير عن الشيء، وكذا لباقة وجمالية الخطاب القرآني في توظيف الكلمات دون إسفاف أو ابتذال، حيث استعمل الحق سبحانه كلمة «حرث» بدل الوطء أو ما يشابهها... فيا لجمالية القرآن الكريم وبالروعة البيان..!

أفلا تستحق هذه اللغة منا، وقفة تمعن وتدبر واحترام..!

---

* محمد إقبال عروي -جمالية الأدب الإسلامي- المكتبة السلفية الدار البيضاء 1986.

المغرب يدعو الحجّاج إلى الالتزام ب "الضوابط السعوديّة "

أعربت المملكة المغربية عن إشادتها بكافة الترتيبات التنظيمية التي اتخذتها المملكة العربية السعودية لأداء مناسك الحج لعام 1437ه.

وذكر بلاغ لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون، اليوم الاثنين، أن "المملكة المغربية تجدد تقديرها الكبير للجهود المتواصلة التي مافتئت تقوم بها المملكة العربية السعودية، بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، لخدمة حجاج بيت الله الحرام، دون استثناء، ومن أجل ضمان أمنهم والسهر على راحتهم لتمكينهم من أداء شعائرهم الدينية في أحسن الظروف".

كما يؤكد المغرب، يضيف البلاغ، على ضرورة الالتزام الكامل بالضوابط الموضوعة من قبل السلطات السعودية في هذا السياق، والحرص على احترامها التام، باعتبارها شأنا سياديا وضامنا لأمن وسلامة وراحة حجاج بيت الله الحرام.

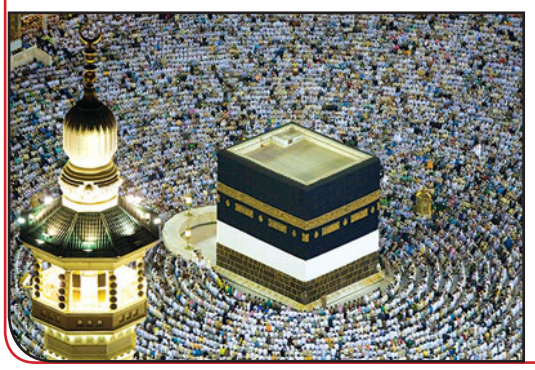

بنك البركة الإسلامي يحصل على الموافقة لتأسيس وحدة مصرفية في المغرب

المنامة (إينا) – قال بنك البركة الإسلامي البحريني إنه حصل على موافقة الجهات التنظيمية لتأسيس وحدة مصرفية في المغرب وإنه يستهدف إطلاق عملياته في هذا البلد قريبا.

وكشف البنك، الذي يعمل في عدد من البلدان بالشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، في بيان أصدره أمس الأربعاء (11 مايو 2016)، أن دخول السوق المغربية سيساعد بقوة على تنويع الأصول ومصادر الدخل للمجموعة.

وأضاف البيان، الذي أوردته وكالة رويترز: "نعمل الآن على استكمال إجراءات التأسيس ونأمل في إطلاق العمليات قريبا".

وكان البرلمان المغربي قد أقر قانونا خاصا بالبنوك الإسلامية والصكوك تحت اسم البنوك التشاركية.

ويسمح القانون الجديد بتقديم خدمات بنكية تتفق مع الشريعة الإسلامية بموافقة المجلس العلمي الأعلى على غرار خدمات المرابحة والإجارة والمشاركة.

بنغلاديش: إعدام زعيم الجماعة الإسلامية مطيع الرحمن نظامي

نفذت السلطات في بنغلاديش حكم الإعدام في أمير الجماعة الإسلامية مطيع الرحمن نظامي رغم مناشدات محلية ودولية بالعدول عن ذلك. وكان الرجل قد أدين بارتكاب جرائم حرب مطلع سبعينات القرن الماضي.

وقال وزير العدل البنغالي أنيس الحق إن نظامي (73 عاما) أعدم شنقا اليوم الثلاثاء ليلا عند الساعة 12.01 بالتوقيت المحلي في سجن بالعاصمة دكا، بناء على حكم أصدرته الأسبوع الماضي المحكمة العليا في البلاد.

ونفذ حكم الإعدام في المعارض والوزير والبرلماني السابق على خلفية تهم بارتكاب أعمال إبادة جماعية والتعاون مع الجيش الباكستاني خلال حرب الانفصال عن باكستان عام 1971.

ويأتي ذلك ضمن سلسلة إعدامات شملت قادة الجماعة الإسلامية. وقبيل تنفيذ الحكم استدعت السلطات أفراد عائلته لتوديعه بعد أن رفض طلب العفو من رئيس الدولة، قائلا إنه "سيطلب العفو من رب العالمين". وفي رسالة وجهها إلى أهله وأتباعه، دعا نظامي جميع أنصاره إلى ضبط النفس والتزام السلمية.

وأقدمت السلطات في بنغلاديش على إعدام نظامي رغم تواتر الدعوات من داخل البلاد وخارجها للعدول عن تنفيذ الحكم. وانتقدت منظمات دولية –بينها منظمة هيومن رايتش ووتش– الحكم الصادر ضد الزعيم البنغالي المعارض، وشككت في أن محاكمته كانت عادلة.

وقبل تنفيذ الحكم، شددت السلطات إجراءات الأمن بنشرها آلافا من رجال الشرطة في العاصمة دكا، في وقت واصل فيه آلاف من أنصار الجماعة الإسلامية التظاهر احتجاجا على اعتزام الحكومة إعدام نظامي. يذكر أن أمير الجماعة الإسلامية في بنغلاديش معتقل منذ العام 2010.

روسيا: إجراءات تعسفية وضغوط تجاه من يعتنقون الإسلام

تشكو امرأة مسلمة روسية حديثة الإسلام من التضييق والضغوط التي تمارسه الشرطة في مدينة "ستافروبول" الروسية تجاهها بعد اعتناقها الإسلام.

وقالت محامية السيدة المسلمة: إن الشرطة تريد من السيدة المسلمة عمل "فيش وتشبيه" وأوراق داخل جهاز الشرطة لمتابعتها، وقالت المحامية: إنها لا تريد إظهار اسم السيدة المسلمة منعًا للمضايقات التي سوف تلاحقها.

وقالت: إن الشرطة اتصلت بالسيدة المسلمة في 23 أبريل، واستدعتها إلى قسم الشرطة، وأبلغتها أنها سوف تكون تحت المراقبة بسبب دخولها الإسلام.

وردت المسلمة على ذلك بالرفض التام لعمل أي أوراق داخل الشرطة، أو أخذ أي بصمات منها.

وقالت المحامية الخاصة بالمسلمة: إن المسلمة الجديدة تعمل ممرضة في إحدى المستشفيات.

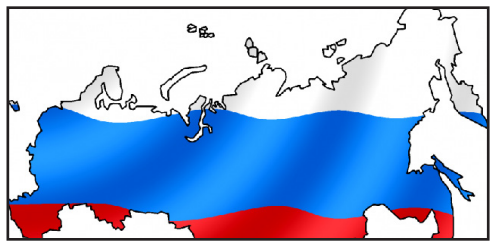

والجدير بالذكر أن مدينة "ستافروبول" تتخذ إجراءات مُشددة تجاه المسلمين.

وقال رئيس منظمة حقوق الإنسان في "ستافروبول": إنه مع هذه القرارات التعسفية يواجه المسلمون صعوبات داخل "ستافروبول"، وعلى سبيل المثال فهم لا يستطيعون الحصول على قرض مصرفي، ويتم فصلهم من العمل بدون أسباب.

أستراليا: محافظ ملبورن يوافق على إنشاء المسجد الكبير

وافَق محافظ مدينة "ملبورن" الأسترالية "روبرت دويل" على إنشاء مسجد كبير في المدينة.

وقال "دويل": إن افتتاح المسجد الكبير سوف يكون إنجازًا كبيرًا للمدينة؛ لأن مسلمي "ملبرون" يفتقدون أماكن للصلاة تجمعهم.

وأضاف: إن "ملبورن" مدينة متعددة الثقافات، وواحدة من أكثر وأعرق مدن الثقافات في العالم، وأنا واثق من أن المسجد سيكون إضافة رائعة للمدينة وللمسلمين.

والجدير بالذكر أن المسجد الذي يوجد في "ملبورن" الآن يتسع لـ300 مسلم فقط أثناء الصلاة، ولكن الآن – وبسبب وجود عدد كبير من المسلمين في "ملبورن" – فسيُصلي فيه ما يقرب من 2000 مسلم؛ لذلك يضطر المسلمون للصلاة في مرأب المسجد، لذلك كانت فكرة إنشاء المسجد الكبير لاستيعاب المصلين.

بريطانيا: 415 مسجدا ومركزا دراسيا لمليون مسلم في لندن

يمثِّل عدد المسلمين بالعاصمة البريطانية "لندن" 12،4% من نسبة السكان، وفقًا للمجلس الإسلامي لـ"بريطانيا".

ووفقًا لإحصاءات جمعية "المسلمون في بريطانيا"، يوجد 415 مسجدًا ومركزًا دراسيًّا في "بريطانيا".

ووفقًا لمكتب الإحصاء القومي، فإن بعض قطاعات سكان "لندن" ترى أن المدينة تتعرض للأسلمة، وهناك بعض التفاصيل التي تؤكد هذا الأمر، وإن لم تكن دقيقة، فعلى سبيل المثال أصبح اسم "محمد" هو الاسم المفضل بين سكان المدينة في عام 2014.

وعلى المستوى القومي، فهناك دراسة للمركز الإسلامي في "بريطانيا" تشير إلى أنه في عام 2011 كان يعيش 2،7 مليون مسلم بالبلاد، في حين كانت النسبة 1،5 مليون مسلم في عام 2001، هذا وفقًا لمعلومات على الإنترنت.

ولكن النسبة الفعلية للمسلمين هي 5%، وهناك إحصاء أجرته شركة "إيبسوس موري" يؤكد أن البريطانيين يشعرون أن النسبة ستكون قريبة من 21%.

لآلئ وأصداف

يلتقطها د. الحسن الأمراني

الوراثة الكبرى

قبل أن نقف عند الآيات الخالصة في الوراثة الكبرى، لا بأس من الوقوف عند آية كريمة، احتملت عند المفسرين وجهين، وهي قوله تعالى في سورة الأنبياء 105: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وهي آية ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالأرض فيها إنما هو الجنة. فممن قالوا إن الأرض هنا في هذه الآية هي الجنة: يحيى بن سلام (200)، والماتريدي (333) في أحد القولين. وقال الشيخ المكي الناصري رحمه الله، مؤكدا أن الوراثة هنا هي وراثة الجنة: ويقول: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ على غرار قوله تعالى في آية أخرى، حكاية عن أهل الجنة: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ (الزمر:74).

وتصرف طائفة أخرى معنى الآية إلى أنه لا يمتنع أن يكون له علاقة بوراثة الأرض في الحياة الدنيا. وقال ابن باديس: ﴿الأرض﴾: جنس الأرض الدنيوية، لأن هذا اللفظ موضوع لها، فإذا أطلق انصرف إليها، وبهذا فسرها ابن عباس من طريق علي بن طلحة وهي أصح طرقه. وعلى هذا يكون معنى الآية: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾، أي ولقد كتب الله تعالى عنده، وأثبت في قديم علمه الأزلي الذي لا ينسى، ثم أثبت في الكتب السماوية من بعد ذلك أن الأرض لا يعمرها من عباده إلا من يصلح لعمارتها، من أي دين كان وأيّ مذهب انتحل. وإلى هذا ذهب بعض من قال إن الكافر إذا عدل كان أولى بعمارة الأرض من المسلم إذا ظلم، فالعدل مناط الأمر كله، وبه قامت السموات والأرض. ولذلك فصلاح الأرض لا يقوم به إلا الصالحون، الذين يتحرون سنن الله ﷻ، فيرثون الأرض لذلك. حتى إذا مالوا عن العدل، وتجانفوا عن الحق، لم يعد لهم الحق في وراثة الأرض، فتنتزع منهم، وتؤول إلى من يقوم بالعدل فيها.

وإلى قريب من هذا كان مذهب الشيخ ابن عاشور، عندما قال: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: 105-107) يريد بذلك كله المسلمين... فلو أن قوما غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله ﷻ به المسلمين من الصالحات بحيث لم يعوزهم إلا الإيمان بالله ورسوله ﷺ لاجتنوا من سيرتهم صورا تشبه الحقائق التي يجتنيها المسلمون لأن تلك الأعمال صارت أسبابا وسننا تترتب عليها آثارها التي جعلها الله تعالى سننا وقوانين عمرانية، سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده أو بالإشراك به أو بعدم تصديق رسوله ﷺ، يكونون بمنأى عن كفالته وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد. ألا ترى أن القادة الأروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما مارسوه من شؤون المسلمين من خلال الحروب الصليبية ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي والفقه الإسلامي والسيرة النبوية قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان والمواساة وكراهة البغي والعدوان فعظمت دولهم واستقامت أمورهم. ولا عجب في ذلك فقد سلط الله تعالى الأشوريين وهم مشركون على بني إسرائيل لفسادهم.

وقد فصل سيد قطب رحمه الله تعالى بعض تفصيل في هذه الآية، بما يتناسب مع منهجه العام في تدبر كتاب الله ﷻ، فكان مما قال: "فما هي هذه الوراثة؟ ومن هم عباد الله الصالحون؟ لقد استخلف الله تعالى آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها، وتنميتها وتحويرها، واستخدام الكنوز والطاقات المرصودة فيها، واستغلال الثروات الظاهرة والمخبوءة، والبلوغ بها إلى الكمال المقدر لها في علم الله ﷻ".

ولقد وضع الله تعالى للبشر منهجا كاملا متكاملا للعمل على وفقه في هذه الأرض. منهجا يقوم على الإيمان والعمل الصالح. وفي الرسالة الأخيرة للبشر فصل هذا المنهج، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه؛ وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته.

في هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود. ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة. فلا ينتكس حيوانا في وسط الحضارة المادية الزاهرة؛ ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلى الأوج في استغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة.

وفي الطريق لبلوغ ذلك التوازن والتناسق تشيل كفة وترجح كفة. وقد يغلب على الأرض جبارون وظلمة وطغاة. وقد يغلب عليها همج ومتبربرون وغزاة. وقد يغلب عليها كفار فجار يحسنون استغلال قوى الأرض وطاقاتها استغلالا ماديا.. ولكن هذه ليست سوى تجارب الطريق. والوراثة الأخيرة هي للعباد الصالحين، الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح. فلا يفترق في كيانهم هذان العنصران ولا في حياتهم.

وحيثما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل في أمة فهي الوارثة للأرض في أية فترة من فترات التاريخ. ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح. وقد تقع الغلبة للآخذين بالوسائل المادية حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان، وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان الصحيح الدافع إلى العمل الصالح، وإلى عمارة الأرض، والقيام بتكاليف الخلافة التي وكلها الله إلى هذا الإنسان.

وما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا مدلول إيمانهم، وهو العمل الصالح، والنهوض بتبعات الخلافة ليتحقق وعد الله ﷻ، وتجري سنته: ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.. فالمؤمنون العاملون هم العباد الصالحون".

وإلى قريب من هذا يذهب الشيخ جواد مغنية، مع اشتراطه شرطين لوراثة الأرض، وهما الصلاح والكفاءة، فإذا تخلف أحد الشرطين انتزعت الوراثة، وآلت إلى الأصلح والأكفأ. ويربط ذلك بواقعنا المعاصر فيقول: "وقانون الحياة لا يأبى ذلك بل يقره ويؤكده، وإذا كانت القوة بأيدي الوحوش الضارية المتسلطة على الأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيره، فإنه لا شيء يمنع أن تتحول القوة في يوم من الأيام من أيدي أهل البغي والضلال إلى أيدي أهل الحق والعدالة، بل إن غريزة حب البقاء والتحرر من الظلم والمبدأ القائل: كل ما على الأرض يتحرك تماما كالأرض وإن دوام الحال من المحال، كل ذلك وما إليه يحتم أن القوة في النهاية تكون للأصلح الأكفأ".

فأما الوراثة الكبرى فيراد منها وراثة الجنة. تلك الوراثة التي ينبغي أن يجعلها المرء نصب عينيه في كل ما يأتي ويذر. بل إن الوراثة الصغرى نفسها لا ينبغي للعاقل أن تكون عنده إلا جسرا للوراثة الكبرى، إذ ما قيمة ملك الأرض العريض إذا ملكه الإنسان ثم خسر نفسه؟ ونحن نقرأ قوله تعالى، من سورة الزمر 15: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين﴾، وقوله ﷻ في سورة الأنعام 12: ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يومنون﴾. وكم من مغتر زعم أنه -إن استخلف في الأرض- ليكونن من المصلحين، ثم لما استخلفه ربُّه نسيَ ميثاقه، وعاث في الأرض فسادا. ولنا في بعض من أخذهم الله تعالى، قديما وحديثا، وهم في عز سلطانهم، أعظم عبرة.

لقد منّ القرآن الكريم، كما رأينا آنفا، على المستضعفين بوراثة الأرض في الحياة الدنيا، وجعلهم أئمة فيها، وبشّرهم بتلك الوراثة، كلما استكملوا شروطها، الواردة في آيات متعددة، ومنها قوله تعالى، في سورة القصص (5-6): ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾. وتلك عاجل بشرى المؤمن. إلا أن القرآن الكريم رغّب أكثر في الوراثة الكبرى، التي هي وراثة الجنة، والتي لا ينبغي أن تكون الوراثة الصغرى غير طريق إليها، وذلك عبر تحقيق العدل بين الناس، والإصلاح في الأرض، والتحذير من العلوّ في الأرض والفساد فيها: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾، لأن ذلك كله طريق إلى الثبور والهلاك في الدنيا والآخرة، ولا يكون ذلك إلا بالغفلة عن الآخرة، وعن ذكر الله تعالى، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم:7). ويرغب القرآن الكريم في الفوز بالوراثة الكبرى، وراثة الجنة. ومن الآيات الناطقة بذلك قوله تعالى في سورة الزمر 74: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة الزخرف 72: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وفي سورة الشعراء 85: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾، وفي سورة المؤمنون 10: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾، وفي سورة مريم 63: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾. فهذه الآيات كلها صريحة بوراثة المومنين الجنة، قال الشيخ جواد مغنية: "وأين تراث الدنيا وحطامها الزائل من تراث الآخرة ونعيمها الدائم؟". إن تلك الآيات الكريمة ترغّب المؤمنين في النعيم المقيم، الذي لا يزول، وتشعرهم بأن الجنة صارت ملكا لهم، إذ الوارث يتصرف فيما ورث تصرف المالك. وذلك كله إن هو إلا تفضل من الله العزيز الحكيم، ملك يوم الدين، على عباده الصالحين.

إلى أن نلتقي

هل مات الضمير الإنساني

تمدنا وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا الحالي بأنواع وأشكال من القصص الواقعية والصور والتسجيلات المرئية، التي تتحدث عن وفاء الحيوان وهِمَّته وحَدَبِه وذكائه في إنقاذ بني جنسه من الضرر أو من الموت.

فهذا ضفدع يحاول أن ينقذ أسماكا بعد أن جرفتها مياه البحر، وهذه بطة تطعم أسماكا مما يمكن أن يمسك به بمنقارها من البر، وهذا حصان يمد حصانا آخر بالحشائش بعد أن حرمه صاحبه من ذلك، وهذا قرد وذاك قط يحاولان إنقاذ صديقيهما من الموت بمساعدتهما على التنفس، وذاك طائر يقيم بجانب رفيقه في الحياة بعد أن فارقها، إلى أن فارق الحياة هو بدوره... إلى غير ذلك من المشاهد المؤثرة التي تدعو الإنسان العاقل المتدبر إلى أن يقول: سبحان الله الذي وسعت رحمته كل شيء، فبرحمته تعالى يتراحم الخلق فيما بينهم، حتى ولو كانوا من بني الحيوان.

بل إن ابن الحيوان يكون رحيما حتى بابن آدم وأكثر وفاء له، ولعل العديد منا قد شاهد أسودا ونمورا وفهوداً ودِبَبَة، فضلا عن الكلاب والخيل والقطط والطيور وغيرها، كيف احتضَنت من أحسن إليها سابقا في وقت الصغر أو في وقت الشدة، وذلك بعد أن فارقته بشهور. احتضنه من باب تلك الرحمة التي بذرها الله تعالى في قلوب الخلق أجمعين. ولعل أشهر قصة في الوفاء، قصة وفاء الكلب الياباني المشهور الذي ظل ينتظر في محطة القطار عودة صاحبه ما يقارب عشر سنوات.

لكن طوائف من بني آدم في عصرنا هذا أصبحت وكأنها كائنات أخرى، كأنها تبادلت المكانة والدور مع بني الحيوان، ليصبح الإنسان أكثر شراسة وعدوانية على أخيه الإنسان، بل وبكل ما يحيط بأخيه هذا، من شجر وحجر، ومستشفيات ومدارس، ودور ومساجد، وملاجئ ومآوٍ؛ تقتيل وتهجير، ترويع وترهيب، تدمير وتخريب، حرق وإتلاف...

مات الضمير الإنساني ليصبح الإنسان أكثر شراسة وفتكا..

مات الضمير الإنساني ليصبح الإنسان مهتما بذاته فقط..

مات الضمير الإنساني فلم يعد الإنسان يفكر حتى في التنديد والاحتجاج..

مات الضمير الإنساني فلم يعد الإنسان يطيق حتى سماع أخبار المآسي، مآسي الإنسان نتيجة لما فعله به أخوه الإنسان، فإذا ما جاء وقت نشرة الأخبار أغلق التلفاز لكي لا تعكر راحتَه مشاهدُ القتل والدمار التي تحدث بشكل بشع، هنا وهناك، في بلاد يقال عنها إنها من بلاد العرب والمسلمين، وكأن المدَنية الزائفة صنعت منا شخوصا آخرين لا هَمّ لهم إلا المأكل والمشرب ومتاع الحياة الدنيا.

لم يكن الإنسان هكذا حتى في عصور التاريخ التي كانت أكثر همجية وعدوانية ولا أقول حيوانية، فلقد دلت العديد من المصادر على أن الإنسان منذ القديم كان يعتقد أن الإنسان سند للإنسان، ومن ثم تشكلت المجتمعات والدول ونشأت الحضارات. ولقد كان الإنسان العربي السويّ في جاهليته لا يغدر ولا يهتك سترا ولا يقاتل ليلا ولا يقتل غدرا، وإذا كان العربي كذلك فلا شك أن مجتمعات أخرى كانت تتصف بنفس القيم، مما يعني أن استحضار القيم الإنسانية كان دأب ابن آدم منذ القديم.

ولما أظل الإسلام العالمين برحمته، عرفت الحضارة الإنسانية قيما خلقية مثلى، تجلت أساسا في العدل والحرية والمساواة والإخاء وحسن التعامل، فعاش بنو البشر بكل أطيافهم حياة مثالية في ظل حضارة الإسلام. فلقد كان الضمير الإنساني حيّا بين بني البشر أولا، ثم ما بين بني البشر وبين غيرهم من المخلوقات.

ولقد كان من المفروض بعد أن جاءت القوانين في عصرنا الحاضر التي تتحدث عن حقوق الإنسان في العيش الكريم وعن الحرية في التعبير وعن الديمقراطية أن يتعزز الضمير الإنساني بمزيد من الإحساس بالمسؤولية تجاه بني الإنسان الذين يذهبون ضحايا التقتيل والتجويع والتدمير والحصار ونحو ذلك من الوسائل التي تتنكر بالجملة لأبسط قيم الإنسانية.

إن موت الضمير الإنساني ينذر بمستقبل لا يبشر بخير، مستقبل تكون الكلمة فيه فقط لصاحب اليد الطولى وصاحب العصا الغليظة، مستقبل تُنْحَرُ فيه الحرية باسم الحرية، والعدل باسم العدل، والديمقراطية باسم الديمقراطية، وهكذا، إلى أن يُدَمَّر الإنسان باسم الإنسانية.

فهل من عودة لهذا الضمير حتى يشعر الإنسان بإنسانيته، خاصة في مناطق الصراع والاقتتال؟؟ وهل من بعث جديد لهذا الضمير حتى يقول بأعلى صوت للقاتل الظالم: قف عند حدك؟؟.

د. عبد الرحيم الرحموني